الأب الروحي

The Spiritual Father

الأرشمندريت باسيليوس باكويانّيس

Archimandrite Vassilios Bakoyannis
The Spiritual Father
Orthodox Book Center
Athens, 2005

الأب الروحي

الأرشمندريت باسيليوس باكويانّيس

نقلته إلى العربية

سعاد رزوق

مكتبة البشارة

بانياس

2008

منشـورات
مكتبة البشارة – بانياس

جميع الحقوق محفوظة

طبعة أولى
٢٠٠٨

الطباعة
مطابع ألف باء - الأديب
دمشق

الفهرس

الفهرس ٥

مقدّمة الترجمة العربية ٧

مقدمة الكاتب ٩

الجزء الأول

التّوق السّري ١٣

الطريق إلى الغد ١٨

الأب المعرِّف ٢٤

التوبة الداخلية ٢٦

التوبة الخارجية..... ٢٩

الجزء الثاني

السرّ..... ٣٥

الاعتراف الصحيح ٣٨

الغفران..... ٤٣
أفكار مغلوطة ٤٦
الكفارة ٥٢
النذور..... ٦١

الجزء الثالث

الطاعة والمنطق..... ٦٧
عظمة الطاعة ٦٩
عدم الطاعة..... ٧٣
البركات..... ٧٧
النصح..... ٧٩
يهوذا..... ٨٥

الجزء الرابع

الأب الروحي الجيّد..... ٩١
الأب الروحي كوسيط..... ٩٣
التأليه ٩٥
الرؤيا..... ٩٨
الأب الروحي الحازم..... ١٠٤
عندما تُدين أباك الروحي ١٠٧
تغيير أباك الروحي ١١٠

مقدمة الترجمة العربية

في أوائل تسعينيات القرن الماضي، كان موضوع الأبوّة الروحية والاعتراف من المواضيع الساخنة التي لا يخلو منها لقاء أو نشاط أو سلسلة محاضرات. إلا أن هذا الموضوع خبا، ولم يعد الكثيرون يتطرّقون إليه. مواقف عديدة اتُّخِذَت وحجج عديدة تدخل في هذا الإطار. فمن جهة، تزايد عدد الأديار وانتشارها ساهم في عيش خبرات حيّة في العلاقات الروحية، طالما افتقدناها في بلادنا. كما أنّ خامة الكهنة في أنطاكية تغيّرت بتأثير هذه الأديار من جهة، ومعهد اللاهوت من جهة أخرى.

ومع ازدياد عدد المهتمّين بأن يعيشوا البنوّة الروحية نشأت مواقف متطرفة من جهتين. الموقف المتطرّف الأول هو لمؤمنين وَرِعين يرغبون في تجسيد كلّ ما يقرؤون في كتب الآباء من دون تمييز بين ما يمكن عيشه في الدير وما ينبغي عيشه في

العالم. أمّا الموقف الثاني فكان رفض التعليم عن الأبوّة الروحية والاعتراف بحجة عدم توافر الآباء الروحيين. في كلا الموقفين تجربة ينبغي تلافيها بالموقف المعتدل. أمّا المعتدلون فهم الذين دخلوا في علاقات روحية مع آباء ومرشدين فنمَوا وإياهم في القامة والقداسة.

أهمية هذا الكتاب الذي بين أيدينا متعددة الوجوه. أوّلها أنه بسيط، يغوص في اللاهوت من دون تعقيد في العبارات. أما أوجه الأهمية الأخرى فمنها أنّه الكتاب الأول من نوعه في لغتنا. يوجد بين أيدينا في اللغة العربية عدد غير قليل من الأحاديث والمقالات التي تعالج الأبوّة الروحية، لكن هذا الكتاب يجمع بين دفتيه معالجة لكل أوجه هذه العلاقة. وأهمّ ما فيه هو تشديده على أن لا آباء بلا بنين ولا بنين بلا آباء، وبأنّ العلاقة الروحية مزدوجة الاتجاه. الأب يرشد ابنه والابن يحمل أباه، فيسيران على درب القداسة ليبلغا إلى قامة ملء المسيح.

أشكر الأخت سعاد رزوق على العمل الذي قامت به رغبةً منها في الخدمة كما أشكر مكتبة البشارة على تبنيها نشره وتوزيعه، وقد اعتدنا على إنتاجها المتميّز دوماً. وقبل كل شيء وبعده، الشكر لله على كل شيء.

الأب أنطوان ملكي

مقدمة الكاتب

قال الربُ لشاولَ داعيًا إياه إلى خدمته: "قمْ وأدخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل" (أعمال ٩:٦). فأطاع شاول ودخل المدينة ووجد حنانيا وتسلّم منه التعليم. الرب أرسل شاول إلى رجل. لم يعلّمه بذاته مباشرة كما أنه لم يقل "اعمل هذا أو اعمل ذاك". هذا يعلّمنا، فيما يختص بالمسائل الروحية، ألاّ نتوقع التعليم "من فوق" فقط، بل يجب أن نكون متواضعين ونسلّم ذواتنا إلى آخرين.

لقد كان باستطاعة شاول أن يسأل الرب: "لماذا لم تقل لي أنت ماذا أفعل؟ لماذا أرسلتني إلى مجرد رجل؟ هل هذا الشخص أكثر معرفة منك؟ أمِنَ الضروري أن أرى حنانيا؟ أنا واثق أني أعرف أكثر مما يعرف". لم يعترض شاول على أمر الرب بل

أطاع حالاً وغدا الرسول بولس. دور حنانيا هو دور الأب الروحي الجيّد في الحياة الروحية. فالأب الروحي مهم جداً في حياة المسيحي الأرثوذكسي لكونه "يد" الله التي ترشدنا إلى ملكوته.

لكن لا يكفي أن يكون عندنا أب روحي شكلياً، بل من الضروري أيضاً أن تكون بيننا علاقة روحية حقيقية. هذه هي الطريق إلى حياة روحية مزهرة. وهذه هي المسائل التي سوف تُبحث في هذا الكتاب.

الجزء الأول

التّوق السرّي

إن الاعتراف حِملٌ داخلي على غالبية المسيحيين. إنه قلقهم الأعمق. إنه "كابوس" لا يتركهم في سلام. دعونا نرى سبب هذا الأمر.

يقول غوث: إن الدين يجري في عروق الإنسان، فالناس متديّنون بطبيعتهم. قد يصحّ أن البشر متدينون بطبيعتهم، لكن المسيحيين الذين اعتمدوا ينتمون إلى عالم مختلف عن الكائنات المتديّنة. فهم أصحاب خصائص دينية عميقة نتيجة سرّ المعمودية، وعندما يقترفون خطيئة يحتاجون إلى حلّ روحي بالاعتراف. نلاحظ أن سرّ المعمودية لا يُمحى مهما ارتكب المسيحي من خطايا. جميع المسيحيين الخطأة يشعرون بحاجة إلى الاعتراف، حتى الذين لا يحضرون إلى الكنيسة إلا نادراً

أو لا يحضرون أبداً. في ما يلي بعض الأمثلة:

دُعيتُ لأتقبّل اعتراف رجل في الستين من عمره يعاني من مرض في القلب يضعه على حافة الموت. أوّل أمر ذكره هو أنّه لم يحضر إلى الكنيسة منذ كان في عمر الرابعة عشرة. وقال: "لقد فكّرت باستمرار بالاعتراف إلى كاهن لا يعرفني على جزيرة أو في دير". هذه الكلمات نطق بها شخص لم يكن على اتصال بالكنيسة لمدة خمس وأربعين سنة.

استُدعيتُ أيضاً لأتقبّل اعتراف مريض في السبعين يقترب من الموت. وقد كان معروفاً أن هذا الشخص قد حُكم بعقوبة لتحرشه بالأطفال، بالإضافة إلى جرائم أخرى. أول أمر ذكره كان: "لطالما كانت الرغبة بالاعتراف قوية فيّ. لكن، عند مروري بالكنيسة كنت أعجز عن الدخول للاعتراف، وكانت قدماي تتخدران".

أعلن أحد ضباط الجيش عند اعترافه لأول مرة أنّه جاهد لمدة أربعين سنة حتى أتى هذا اليوم.

شعر ليوتولستوي أنه بحاجة لأن يجد كاهناً يفتح له قلبه، فذهب إلى الأب برصنوفيوس في دير أوبتينا، وهو

أب معروف جداً في روسيا. لكنه كان يدنو من قلايته، بحسب ما روى الأب الروسي نفسه، دون أن يملك الشجاعة لقرع الباب، فيعود أدراجه. لقد أحسّ بثقل على ضميره لذا انتهى إلى قلاية راهب آخر. مع هذا، خاف وتردد وتراجع (الستارتس برصنوفيوس متروبوليت نيكوبوليس، ١٩٩١، صفحة ١١٥). ما يهمّ هو أن هذا الكاتب المشهور عالمياً شعر بالحاجة إلى الاعتراف، لقد فتّش وسعى مكابداً لكي يعترف.

قام نيكوس كزانتزاكيس[١] برحلة إلى الجبل المقدس، في خريف ١٩١٤، مع جمعية أنجيلوس سكليانوس. خلال رحلته، التي دامت أربعين يوماً، قرر كزانتزاكيس أن يعترف بخطاياه فبحث عن أفضل آباء الجبل المقدس حتى وصل إلى الأب مكاريوس سبَيْلِيوتس الذي يعيش في مغارة في منطقة كاروليا النائية.

---

١ نيكوس كزانتزاكيس: هو كاتب يوناني تنقّل بين الإيمان والأفكار التي كانت تمتد نحو المثقفين بدايات القرن العشرين. من أشهر كتبه "تجربة يسوع الأخيرة" الذي يروي فيه أن المسيح على الصليب ندم على أنه ارتضى هذه الطريق التي أدّت إلى صلبه، فيما كان باستطاعته أن يتزوّج المجدلية ويؤسس عائلة. هذا الكتاب أدّى إلى المواجهة بين كزانتزاكيس والكنيسة التي كان الكاتب بالأصل ينتقد رجالها، وانتهى الأمر إلى إدانته بجمعياً ومات محروماً. (المترجم)

يسرد كزانتزاكيس: "بدأت أتسلّق بمفردي صاعداً إلى المنسك في الأعالي فوق كاروليا. لقد كان مكاريوس المعروف بقداسته يعيش بين النساك، وهو الذي كنت أبحث عنه منذ اللحظة التي وطئت فيها قدماي الجبل المقدس. كنت قد قررت أنّ عندما ألتقيه سوف أسجد له وأقبّل يده وأعترف عنده. وصلت إلى المنسك حوالي الظهيرة. ثقوب سوداء في جانب الجرف، صلبان حديدية مثبتة إلى جانبه وعظام في أحد الكهوف. خفتُ. وفيما كنت أواصل تسلّق الجرف تجرّحتُ وتكدّمتُ من النتوءات الصخرية الحادة، فاستجمعتُ قواي ودخلت المغارة. فكّرت حينئذ أني تسلقت الجرف حتى أعترف إلى شخص فظ أنكَرَ الحياة، فأدركت أن الوقت ما زال باكراً للاعتراف، وقررت أن أترك الأمر إلى حين أتقدّم في السن أكثر". (تقرير إلى غريكو. ص:٢٢١ - ٢٢٤).

تكشف رواية كزانتزاكيس الحقيقةَ بإخلاص. لقد صعد بمفرده من غير رفيق وهذا علامة على حاجة نفسه إلى الاعتراف. لقد عانى وهو يتسلق إلى المنسك، خاف، جرّحته النتوءات الصخرية الحادة ولكنه استجمع

قواه وواصل سيره. هذا كان توقه إلى الاعتراف وتأثير سرّ المعمودية فينا.

ألا نذهب ؟

قد نتساءل: "هناك كثيرون يعيشون من دون اعتراف. فلمَ لا يهرعون إلى هذا السرّ؟" لنتذكّر كلمات المريض السبعيني على حافة الموت: "عند مروري بالكنيسة كنت أعجز عن الدخول للاعتراف، وكانت قدماي تتخدران".

يفتقد الناس القوة ولهذا يجدون الأعذار. مَن يخدعون؟ إنّهم يخدعون ذواتهم بدل أن يحرروها من "الكابوس" الذي يدعى الخطيئة. يعمل المسيحيون كلّ ما في وسعهم حتى يؤجّلوا اعترافهم ويؤخروه إلى أن يبلغوا فراش الموت. هؤلاء لا قوة لهم كي يخففوا عبء نفوسهم، وكأن الآباء الروحيين يهددونهم بالسكاكين والبنادق. ماذا تنتظرون؟ أن يرسل الرب ملاكاً من السماء ليقودكم إلى الاعتراف؟ إنه أمر متوقّف عليكم. لذا يجب أن تجاهدوا وتبادروا الآن!

الطريق إلى الغد

الشيطان معروف بخبثه الذي لا يُضاهى، وباستعماله مكره لينصب فخاخه حتى يدمّرنا، أي حتى يجعلنا نخطأ. أول مهمة له هي أن يقطعنا عن سرّ الاعتراف الذي يخلّص النفس. لكن مؤامراته التي يحبكها بذكاء باطلة بالفعل.

مكيدته

دُعي الشياطين إلى اجتماع موضوعه كيفية جعل الناس يخطئون. قال أحدهم: "إن كنا نريد الناس أن يخطئوا يجب أن نقول لهم إن الله غير موجود". وقال آخر: "لا! يجب أن نقول لهم أن الفردوس وجهنم هما هنا على الأرض". وتعاقبت الاقتراحات الأخرى، فيما التزم أحدهم الصمت طوال الاجتماع. وعندما قارب الاجتماع على النهاية، سُئل هذا الأخير عن رأيه فقال: "لديّ اقتراح مختلف. يجب أن نقول للناس أنّه تبقّى لديهم متسع من الوقت للتوبة عن خطاياهم". وافق الشياطين على هذا الرأي لكونه أفضل الطرق لاصطياد الناس. لهذه المكيدة التي

وضعها الشيطان ثلاث نتائج:

أولاً: عندما تقول "لديّ الوقت... ما زال الوقت أمامي..." تبقى من دون قرار. "إن الطريق إلى الغد تقود إلى أرض العدم". عندما ذهب كزانتزاكيس إلى الجبل المقدس للاعتراف، قرّر أن يؤجّل اعترافه إلى يوم آخر: "لقد أدركت أنه باكر. ما زالت الحياة فيّ. إني أحب العالم المنظور... فيما بعد... فكّرت أن أعترف عندما أتقدم في العمر". ولكن، "فيما بعد" لم تصل إلى كزانتزاكيس.

ثانياً: كيف لك أن تتأكد أنه ما زال أمامك الوقت؟ هل ستعيش لترى الغد؟

ثالثاً: لنعتبر أنك سوف تعيش لزمن طويل ولديك المتسع من الوقت في المستقبل. ما الذي سوف يمنعك في المستقبل من أن تستعمل نفس العذر: "ما زال لدي الوقت"؟ إذا تبتَ في ذلك الوقت المتأخر فستشعر بتأنيب الضمير لأنك لم تَتُب قبل كل تلك السنين لا بل تبتَ متأخراً في الحياة.

لماذا إذاً تؤجّل فيما أنتَ تعرف أنك عاجلاً أم آجلاً عليك أن تتوب؟

العجوز السيئة الحظ

يخبر الياس فينيزيس قصة جَرَت بالقرب من مدينة ثيفا في اليونان عن عجوز أخفت خطيئتها ثلاثين سنة ولم تعترف بها. قاربت الموت في فترة السنين المظلمة (١٩٤١ - ١٩٤٤). جاء الخريف وأصبحت الأيام أكثر برودة. كانت الرسائل من المدن والبلدة تسبّب الحزن. الخبز كان نادراً. كلّ شيء كان قليلاً. الجوع سيوافي عاجلاً على عتبة بابهم. حينئذ، وفي ليلة باردة قرب نهاية الخريف، ماتت زوجة الحطّاب. زوجها كان بجانبها واثنان آخران. عندما أدركت أنها آخر لياليها طلبت أن تتناول، ولكن كان من غير المعقول الإتيان بكاهن من ثيفا في نصف الليل.

- أريد أن أتناول قبل أن أُسلِمَ روحي.

- "حاولي أن تبقي إلى الصباح. انتظري حتى الفجر وسنأتي بالكاهن"، قال زوجها.

- حسناً سأنتظر....

وعند الفجر فتحت عينيها وتطلعت حولها و كرّرت:

"أريد المناولة"

- سيحل الفجر حالاً. سيذهب جرجس ويأتي بالكاهن. إنه ذاهب إلى ثيفا!

"ثيفا"، قالت مفكرة، "مَن هي ثيفا؟" وقد بدا على وجهها أنها تحاول أن تتذكر هذا الاسم.

- "لقد قلتَ ثيفا. حسناً نعم...ثيفا. أوه! إنه متأخر جداً... متأخر. وأحنَت رأسها فيما تأنيب الضمير يلمع على وجهها.

- لا وقت لديّ، إنني خارج الزمن الآن. أريد أن أخبرك شيئاً.

- أخبريني.

- لا تدع أحد يسمعني.

فأشار الزوج إلى الآخرَين بأن يُخليا الغرفة.

- لا يستطيع أحد أن يسمع.

- أنحن وحدنا؟

- نحن وحدنا.

- بما أني لا أستطيع أن أتناول وبما أني لا أستطيع الاعتراف...

- لقد قلتُ لك أنك ستتناولين وستعترفين.

- فات الوقت. أصغِ الآن... قبل أشهر توفي ابني والآن دوري. موت اثنين معاً ثقيل عليك. تأكدْ ألا تقهرك المرارة!

فأخذ بيدها.

- لا تتفوهي بهذه الأشياء. ستصبحين، عاجلاً، بأحسن حال!

- إنها ليست غلطتك.

- ما هي ليست غلطتي؟

- لا تتكلمْ... أصغِ... هل تذكر الحرب؟

- هذه الحرب، التي أخذت ابننا؟

- لا، الأخرى.

- المعركة مع الأتراك والبلغار؟

- نعم. هل تذكر الرجلين من يوانينا؟

- أيهما؟

- اللذان زارانا في الليل و تركنا أحدهما في الصباح التالي بينما استبقيتَ الآخر لأسبوع، فبقي معنا.

فكّر العجوز مجاهداً ليتذكر. كان هذا قبل سنين كثيرة. كم من الناس مرّ بهم منذ تلك الأيام؟ وكم من

البشر مضى من الوجود؟ ثم قال بقلق:

- لا أستطيع أن أتذكر. ماذا هناك؟

- حسناً لا تجهد نفسك.

وتوقفت عن الكلام وأخذ نفسها يضيق وبدا صوتها وكأنه آتٍ من بعيد مثل نور الفجر.

- لقد حملت طفلي منه. لم يكن طفلك.

- ماذا قلتِ؟... ماذا قلتِ؟

وأغلقت عيناها ووضعت إصبعها على شفتيها

- لا تقلْ شيئاً... لا تجدّفْ...

ومرّت لحظة من الزمن.

لا الرجل حيّ ولا ولدي. وعاجلاً أنا سأموت. كلّنا نموت. لا تجدّفْ.

وابتلعت ريقها قائلة: إنه القدر. القدر.

(الياس فينيزيس، الخروج، ص: ١٨٠ - ١٨٥)

ملاحظات

على الأكيد هذه المرأة فكّرت بالاعتراف قبلاً لكن الشرير خدعها "بفخّه" قائلاً "أجّلي اعترافك إلى ما بعد"، ولكن "الطريق إلى الغد تقود إلى أرض العدم". من

الممكن أنها ذهبت لتعترف وتكشف جميع خطاياها ولكنها لم تكشف الحادث أعلاه فتركته ليوم آخر. لقد خبّأت في نفسها هذه الخطيئة لمدة ثلاثين سنة! لقد تذكرت كلّ شيء: الوجوه، المكان، الزمان.... لقد كان يتآكلها وجعٌ سرّي، كان بإمكانها التحرر منه وتخليص روحها بالاعتراف.

الأب المعرِّف

نكرّر، إن الاعتراف توق سرّي عند جميع المسيحيين، فمن الممكن أن يجاهدوا لسنين قبل أن يأخذوا قراراً بطولياً بالقيام به. ما هو شعور المتقدم إلى الاعتراف لأول مرة؟ الخوف والقلق عند التركيز على الخطايا التي سوف يبوح بها للكاهن الذي يقربه. على الآباء روحيين أن يفهموا هذا الخوف ويهتمّوا به. قد تؤدّي الكلمات أو الأعمال التي لا تراعي شعور الآخرين، أو حتى الإيماءات العفوية، إلى انطباع سيء وإلى جعل الأمور أكثر صعوبة عند التائب. "قصبة مرضوضة لا يقصف" (متى١٢:٢٠)

المسيح لا يكسر قصبة مرضوضة، والقصبة المرضوضة هي كل روح متألمة. في هذه الحالة، الخروف الضال هو الذي يتطلّع إلى الاعتراف ليُشفى ويخلُص، وليس ليُسحق. يقول القدّيس إسحق السرياني "إذا أردت أن تشفي المرضى الروحيين، يجب أن تدرك أن هؤلاء البشر هم بحاجة إلى العطف بدل التوبيخ" (العظة ٥٨).

إن الله نفسه يعلّمنا كيف نسلك تجاه الخطأة. لم يقل الله لآدم: لماذا فعلتَ هذا بي أيها الخاطئ التعيس؟ لماذا تصرفتَ بجحود؟ لقد أدرك الله حالة آدم المرتبكة والقلِقة وناداه باسمه: "آدم أين أنت؟" (تكوين٣: ١٠). عندما كذب آدم، وقد كان يختبئ عرياناً، لم يغضب الله بل حاول أن يستميله بلطفه حتى يتوب: "هل أكلتَ من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟" لقد تكلم الله بالعطف نفسه مع قايين الذي قتل أخاه ومع يهوذا الذي خانه. هذه الحالات الثلاث هي أمثلة أبدية ليتّبعها الآباء الروحيون.

"وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (متى١٢:٢٠)، بل سيحاول أن يشعلها ليضيء البيت. بكلام آخر، إن الأب الروحي

الجيد يحاول أن يبعث النشاط من جديد في النفس المنهَكة التي تأتي إلى الاعتراف ولا يحاول القضاء عليها. وفيما عدا ذلك، فإن القاضي العادل سوف يحمِّل هذا الأب الروحي مسؤولية إهماله وقساوة قلبه وسطحيته.

التوبة الداخلية

كلمة توبة في اليونانية (ميتانيا) تعني أن يغيّر المرء فكرَه. عندما تُغيّر فكرَك، تغيّر حياتك. إن حالة عقلك تؤثّر في حياتك، تقرّرها. التوبة، حينئذ، هي تغيّر داخلي جذري. إنها تبدُّلٌ في الصورة. عاش الابن الضال في بلد بعيد، وعندما تاب ترك ذلك البلد ورجع إلى البيت. نتجت عن توبته تغيرات جذرية. لم يترك الخطيئة فقط بل "أمكنة الخطيئة" أيضاً. لقد هجر الأرض الغريبة، بلد الخطيئة، ورجع إلى عائلته.

يقول لنا القديس يوحنا الذهبي الفم أن التوبة تشمل ثلاث مراحل:

١- اليقظة والانسحاق.

٢- الاعتراف بالخطايا.

٣- الجهاد ضد الخطيئة حتى الموت.

التوبة الحقيقية

لقد كنت شاهداً على الحادثة التالية: في إحدى أمسيات الصيف، وصل إلى أحد الأديار في البيلوبونيز، اليونان، رجل في خريف العمر وطلب أن يرى رئيس الدير. كان قلقاً وراح يبحث عن الرئيس في الكنيسة، في حجرة الاعتراف، فتّش في كل مكان. راح يصرخ بأعلى صوته "أيها الشيخ، أيها الشيخ"، حتى وجده أخيراً. راح يترجّى رئيس الدير لأن يعرّفه. عندما انتهى من الاعتراف، قال رئيس الدير: "هذا الإنسان كان بعيداً عن الكنيسة واليوم اعترف للمرة الأولى. لم أرَ من قبل مسيحياً يعترف بهذه الدرجة من انسحاق القلب". هذا يعلّمنا درسين مهمين عن التوبة الحقيقية:

* التوبة الحقيقية لا تترك أيَّ عائق يحول دون الاعتراف ولا تؤجّل بل تقود الشخص حالاً إلى الاعتراف.

* التوبة الحقيقية تقود إلى اعتراف حقيقي وكامل مع انسحاق قلب.

النعمة الإلهية المقدسة

قال القديس يوحنا الذهبي الفم (عن المزمور ١٤٠): "لا شيء غير الاعتراف بانسحاق قلب يجعل الرب أكثر رحمة". التوبة الحقيقية تجعل الله يرسل من السماء شلالات، ليس من الماء بل من النعمة الإلهية المقدّسة المخلِّصة. عندما رجع الابن الضال إلى البيت خازياً احتُفل بعودته. كذلك يفعل الرب عندما يتوب المسيحي فعلياً. إنه يقبله كالابن الضال بذراعين مفتوحتين بالشفقة والعطف. فرح يكون في السماء، والرب يشمل هذا الإنسان بنعمته. يشعر المعترف بأنه في السماء حيث الفرح لا على الأرض.

قال أحدهم وقد اعترف في الستّين من عمره: لقد درت، تقريباً، حول كل العالم، تزوجتُ ولديّ أولاد وأحفاد. ولكن لم أشعر أبداً كما أشعر الآن!

أخبَرَتْ إحدى النساء وهي في التسعين، ولم تكن قد اعترفت قبل الستين: "عندما أخرج من الاعتراف لا أشعر بجسدي. لا أكون أكيدة إذا كنت في السماء أو على الأرض. أشعر كالملاك!"

أخبر أحد الشبّان بعد الاعتراف: "كإنسانٍ شاب،

لقد اختبرتُ كلَّ ملذات هذه الحياة. لكنّ ما أحسّ به الآن مختلف بالكامل". وتطلّع إلى أسفل وقال: "إني أنظر لأرى إذا كنت سأعود إلى البيت ماشياً أو طائراً. إني أشعر كأني خارج جسدي".

إن نعمة الله تغمر نفوس الذين يتوبون حقيقةً. إنه فرح الرب، إنه استجابة الله لتوبة الخاطئ.

التوبة الخارجية

تكون التوبة خارجية عندما لا تكون من قلب المسيحي بل تقتصر على شفتيه فقط. هذا لأنه لا يشعر بحالة الخطيئة في الداخل. هناك عدد من العوائق التي قد تسبب له مشكلة في اعترافه.

العائق الأول

لنحسب أن شخصاً ما أخطأ خطيئة مميتة، كالزنى مثلاً، ولم يتبْ بشكل فعلي، أي لم يبغض اللذة ولا تملّكَه الشعورُ بالندم، ولم يذرفْ دموعَ تبكيت الضمير. ولكن، بالرغم من ذلك يدفعه ضميره إلى الاعتراف. عندما يفكّر أنّ عليه الاعتراف بخطيئته يغلب عليه

الخجل، وتنشأ الحيرة: أيذهب أم لا؟ فإن لم يذهب سيحسّ بثقل ضميره، وأكثر ما سيثقّل عليه هو الخوف من الحياة بعد الموت. وستنشأ الأعذار إلى أن يتجنّب الاعتراف: "إلى مَن سأذهب! فالمعرّفون صارمون يحرمونني من المناولة". يضع المسؤولية على الكهنة بالرغم من أن المشكلة فيه. لكنّه قد يقرر بألم مبرح وخوف وخجل أن يذهب إلى أب روحي غير معروف، على رجاء أن لا يجده. وعندما يصل إلى الباب، كما فعل تولستوي، يُحاجُّ نفسه حول ما إذا كان يدخل إلى حجرة الاعتراف أو لا. وقد يؤدّي به أصغر العوائق إلى الرجوع إلى الوراء. وإذا دخل، أخيراً، يكون مثقل القلب.

العائق الثاني

كيف سيعترف بخطاياه؟ إنه خَجِل! ماذا سيفعل الآن؟ هل سيتغلب على الخجل، أم سيتبع طريق كزانتزاكيس الذي رجع إلى الوراء؟ إذا قرّر أن يعترف أسيكون عمله فقط لأداء الواجب؟ هل ستنصبّ محاولاته على محْوِ خطاياه أم على تجنّب المهمة؟ كلام ووصف عام، لا يتذكّر جميع الخطايا....إلخ.

مرةً، سرق أحدُ القرويين خنزيراً. لكنّ الأمر تطوّر إلى أن أصبحت السرقةُ طبيعةً ثانيةً له. وكانت زوجته تزعجه باستمرار طالبة منه أن يعترف، حتى لم يعد قادراً على الصمود أمام إلحاحها، فقرر أن يذهب. كان فمه مطبقاً خلال الاعتراف مما اضطرّ الكاهن لأن يلعب دور المحقق:

- هل جدّفتَ؟

- كلا.

- هل كذبتَ؟

- كلا.

- هل سرقتَ ماعز؟

- كلا.

- هل سرقتَ قمحاً، زيتاً أم ذرة؟

- كلا.

فقرأ الكاهن صلاة الغفران. فسأله الرجل:

- أأستطيع أن أتناول؟

- نعم.

عاد القروي إلى البيت، وكانت الزوجة سعيدة لأن

زوجها اعترف أخيراً. فسألته:

- هل قلتَ له أنّك سرقت خنزيراً؟

- لم يسألني.

هذا الشخص اعترف من دون توبة. لقد تجنّب الإقرار بخطيئته بالرغم من أنه ذهب للاعتراف وتكلّم وجهاً لوجه مع الكاهن، ولا نعلم إذا كان سيعترف فيما لو سُئِلَ مباشرة.

الجزء الثاني

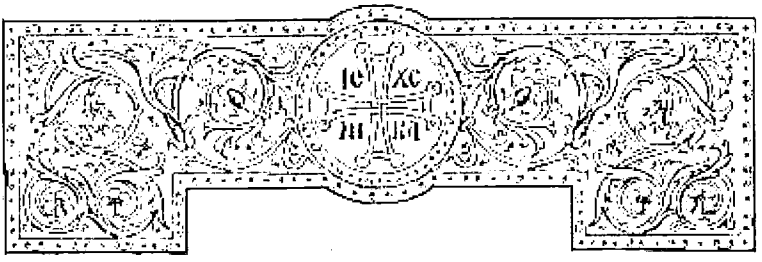

السرّ

لكل سرّ في كنيستنا خدمة خاصة، وللاعتراف، كَسِرٍّ في الكنيسة الأرثوذكسية، خدمته وابتهالاته وصلوات الغفران، ولكن أغلبها زال. هذا لا يعني أن لا مغفرة الخطايا بدون هذه الصلوات، لكن كونها موجودة في طقوس كنيستنا، يجب أن تُتلى.

هل يجب أن تُقرأ الخدمة دائماً؟

لنحسب أن امرأةً تجادلت مع زوجها وأسرعت إلى الاعتراف، يقيم الكاهن الخدمة فتقرّ بخطاياها وتُعطى الغفران وتغادر. إذا تكرّرت المجادلة في اليوم الثاني أو حتى في اليوم نفسه، وهذه هي الحال بالتأكيد، وذهبَتْ مجدداً إلى الاعتراف، أمِنَ الضروري أن يعيد الكاهن الخدمة؟ ماذا إذا كانت تسرع إلى الاعتراف يومياً، أتُعاد

الخدمة كل يوم؟

من وجهة نظرنا، إن الخدمة التي تسبق الاعتراف يجب أن تقرأ في الظروف الآتية:

* لخطايا جديّة تستلزم التكفير بحسب القوانين الكنسية.

* عند اعتراف الشخص لأول مرة.

السيامة

ينقل الأسقف للمتقدم إلى الكهنوت، بوضعه يده على رأسه، موهبةَ الكهنوت. والكاهن المُعَرِّف، بوضعه يده على رأسِ المعترِف، يمنح الحلَّ (مغفرة الخطايا). النقطة الأساسية في السرّ هي في وضع الأيدي خلال قراءة صلاة الغفران. هذا ما تحُدِّده بوضوح القوانين الكنسية الملهَمَة من الله (القانون ٧ من المجمع المسكوني الأول والقانون ٣٥ من مجمع قرطاجة).

النعمة الإلهية العظمى

في العهد القديم، الله وحده يغفر الخطايا (إشع٤٣:٢٥). الفريسيون لم يعتبروا المسيح إلهاً بل مجرد إنسان عادي، وبالتالي لا حق له في أن يغفر الخطايا. لهذا

ثاروا عندما قال للمفلوج: "يا بني مغفورة لك خطاياك" (مرقس٢ :٥)، "لماذا يتكلم هذا بتجديف. من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده" (مرقس٢ :٧).

لقد أعطى المسيح حقّ مغفرة الخطايا هذا لرسله (متى١٦ :١٩ و١٨ :١٨، يوحنا٢٠ :٢٠-٢٣...إلخ) وهم بدورهم أعطوه لخلفائهم من الأساقفة والكهنة. من الطبيعي، أنّهم لكي يغفروا الخطايا يجب أن يعرفوها أولاً، ولكي يعرفوها يجب علينا أن نعترف لهم. البروتستانت يعتقدون بأنهم يعترفون لله مباشرةً، ولا يأخذون هذا بعين الاعتبار.

الخطيئة مسمار في جسد المسيح. عندما نخطأ، نصلب الربَّ ثانية (عبرانيين٦ :٦). هذه هي الخطايا الجديّة. إن مغفرة خطايانا تتطلّب جهاداً كبيراً، "دم وعرق ودموع". وبما أننا شهوانيون وكسالى ولا نريد أن نجاهد ضدّ التجربة، تبقى خطايانا غير مغفورة. في الحقيقة، مَن هو الإنسان المستعدّ لأن يُهرق دمه من أجل أن تُغفَر خطاياه؟ لم نُرِد أن نُصلَب من أجل خطايانا، فصُلب المسيح عنا. لقد صُلب من أجل خطايانا (رومية٥ :٦-١١) وقد منحَنا موهبةَ الغفران بالاعتراف ومن دون ألم. غفران خطايانا هو أكبر

عطية من الله للجنس البشري.

الاعتراف الصحيح

إذا كنتَ مسيحياً وعضواً يقظاً في الكنيسة، وتمارس بين الحين والآخر سرّ خلاص النفس، أي سرّ الاعتراف، فهل تفحّصت اعترافك لترَ ما إذا كان صحيحاً؟ هل توقفّت عن التفكير بأنك تُغضِب الله باعترافك بدل أن تُسِرَّه، وبدل أن تنال الغفران، أنت تزيد من خطايا نفسك؟

"حدِّث لكي تتبرّر" (إش٤٣: ٢٦). يطلب الله منك أن تعترف بخطاياك بإرادتك، لكي لا تُدان بل لكي تتبرّر ويُغفَر لك. فإذا كنت ترغب بالمغفرة، لا تنتظرْ من الكاهن أن يلعب دورَ المحقق أو وكيل المقاطعة. يحكم المسيحي الورع على ذاته أولاً. يسأل القديس يوحنا الذهبي الفم "أَمِن الممكن أن يدين المسيحي الورع الآخرين؟" وإذا كان الأمر هكذا، أيكون إنساناً مخلصاً؟ بكلام آخر، إن ميزة الإنسان المؤمن هي إدانة الذات، خاصةً خلال

الاعتراف. إذا كنتَ حقاً متديّناً فأذكرْ خطاياك فقط في الاعتراف.

لسوء الحظ، هناك مسيحيون يُقرّون بكلّ شيء ما عدا خطاياهم، وهذا يدلّ على قلّة الورع. جاء بعض الأشخاص إلى كاهن قائلين: "أيها الأب نريد أن نأتي إليك لكي نعترف". فأجاب: "تعالوا واجلبوا خطاياكم معكم...". هذا يعني: لا تقدّموا الأعذار أبداً.

"لا تُمِلْ قلبي إلى كلام الشرّ فيتعلّل بعلل الخطايا" (مز١٤١:٤). طلب داود من الله أن لا يسمح لقلبه بأن يقبل أيّ فكر "ليتعلّل" بخطايا. في تعليقه على هذه الآية، كتب القديس يوحنا الذهبي الفم: "إن الأعذار الوقحة هي وليدة خطأة جاحدين. يضع القتلة اللوم على الغضب، والسارقون على الفقر، والزناة على شهوتهم. ولكنّ هذه أعذار باطلة إذ هناك فقراء لا يسرقون، وهناك شهوانيون لا يزنون. لا الفقر ولا الشهوة ولا الغضب يدفع الناس لكي يخطأوا بل إرادتهم وميلهم".

رأى داود زوجة أوريا عريانة فجُرِّب، وعندما تاب

اعـــترف تمامـــاً بخطايـــاه. "قـــد أخطـــأت إلى الـــرب" (٢صـموئيل١٢:١٣). لقـد كـان بمقـدوره أن يقـول: "لقـد أخطأت لأني شاهدت المرأة عارية أمامي". لكنّه عرف أن هذا عذر باطل، ولهذا أدان نفسه فنال الغفران من الرب. وأنـتم يـا أحبـائي قولـوا للـرب، "قـد أخطأنـا" (مـن المزمور١٤٠).

يُعلم القديس قزما الإيتولي: "عندما يسألك أبوك الروحي عن سبب ارتكابك خطايا مثل هذه، لا تلقِ اللوم على الآخرين، أو تقُل أنّ الآخرين أثّروا عليّك أو أنّ الشيطان دفعك لفعل ذلك. ولكن ألقِ اللوم على نفسك، وقلْ أنّ عقلك الشرير هو المسؤول" (تعليم أ٢).

إهمال الخطايا

الاعتراف فحص روحي للمسيحيين، فيه تُفحص جميع نواحي حياتهم الروحية. أغلبية المسيحيين يحصرون اعترافهم بعبارات متفق عليها: "لم أسرق، لم أجدّف، لم أقتل...إلخ" لكنهم يهملون العديد من الخطايا الجديّة. تقول الوصية الرابعة "أكرم أباك وأمك" (خروج٢٠:١٢). أتوقّر أهلك المسنّين؟ إذا كنتَ لا تعتني بهم فأنت أشرّ من

غير المؤمن (١تيموثاوس٥ :٨). هل تذكر هذا في الاعتراف، وإن لم تذكره كيف تتجرأ أن تتقدم إلى المناولة؟

إذا كنت أباً: أترشد أبناءك الصغار؟ أتعلّمهم؟ أتضع قيوداً على أهوائهم؟ أتحميهم من التلفزيون، الرقص، الموسيقى الصاخبة، ومن حفلات الأولاد "البريئة"...؟ إذا كنتَ لا تقوم بذلك فأنت تدمّر أرواحهم! أتعترف بهذا الإثم؟

كان الدرج الذي يقود إلى المقدِس في الهيكل اليهودي مُصمَّماً بطريقة لا تسمح بكشف أرجل الكهنة عندما يصعدون (خروج٢٠ :٢٦). هذا كان عقابه الموت. لذا دخول الكنيسة بلباس غير محتشم هو ارتكابٌ للخطيئة. أتعترف بهذا؟ إذا كنت لا تقف بورع خلال الخدم الكنسية، أو تتكلّم مع جارك فأنت ترتكب الخطيئة. لقد قال القديس قزما الإيتولي (التعليم ب): "إنكم تشعلون النار وتلذعون ذواتكم". إذا انجرفْتَ بالحديث خلال الخدمة، أتعترف بذلك؟ أأنتَ ملتزم بالحضور إلى الكنيسة كلّ أحد؟ إذا كنت غير ملتزم فأيّ مسيحي أنت؟ أتعترف بذلك؟

عندما لا تفعل ما هو حق

لا يُسَرّ الرب بالامتناع عن الخطيئة فقط، بل يريدنا أن نعمل أعمالاً صالحة أيضاً. "حِدْ عن الشر واصنع الخير" (مز٣٤:١٤). الامتناع عن القيام بالأعمال الصالحة يجعلك مخالفاً لإرادة الله، ومخطئاً بالإهمال (يع٤:١٧).

وعليه، ما هي الأعمال الحسنة التي تقوم بها؟ أأنت محسِن؟ أأنت عادل؟ أتساعد الفقراء والمرضى؟ إن كنت لا تقوم بذلك فأنت تخطأ. أتعترف بهذا؟ قالت نفسٌ للرب: "أيها الرب، لقد رأيتَ أن يديّ نظيفتان من الخطيئة"، فأجاب الرب: "إنهما نظيفتان ولكنهما فارغتان".

عندما ينتهي اعترافك، يكون أبوك الروحي قد أصغى إليك. يأتي دورك لأن تصغي بإمعان وتسمع إرشاده ووعظه. أتفعل ذلك؟ لسوء الحظ، بعض المسيحيين يتكلّمون كل الوقت دون أن يملكوا الاتضاع كي يُصغوا إلى إرشاد الكاهن.

❀ ✻ ❀ ✻ ❀

الغفران

لنحسب أنك ارتكبت خطيئة مميتة وتريد أن تعترف، لكن اليأس وعدم الرجاء يتآكلانك فتروح تكرر: "سأخسر نفسي، ليس لي خلاص". أو لنحسب أنّك اعترفتَ وما زال لديك شكوك تدفعُك إلى التساؤل ما إذا كان قد غُفر لك أم لا. هذه أفكار خاطئة. إنها "إهانة" لله.

اليأس

بحسب القديس يوحنا السلمي، هناك نوعان من اليأس:

* النوع الأول هو اليأس الناتج عن الغرور والكبرياء. أحياناً تفتكر أنّه ما كان يليق بشخص من قامتك أن يرتكب هكذا خطيئة (السلم إلى الله الدرجة ٢٦: ٨٩). بكلام آخر، أنت تتعجب كيف نزلتَ إلى هذا المستوى دون أن تأخذ بعين الاعتبار حقيقة أنك أحزنت الرب، أي إنك تفكر في ذاتك فقط. الترياق لهذا اليأس، بحسب القديس يوحنا، هو التواضع وعدم إدانة الناس

الآخرين (السلم إلى الله الدرجة ٢٦: ٨٩).

* النوع الثاني من اليأس هو الناتج عن ثقل الخطايا وتعب الضمير والحزن. تغرق النفس المثقَلة جداً في قعر القنوط. هذا اليأس يمكن شفاؤه بالإمساك عن الأهواء (كالصوم الصارم) وحسن الرجاء (السلم إلى الله الدرجة ٢٦: ٨٩).

الرحمة الإلهية

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: إن كان الله خَلَقَك لكي تهلَك فَلَكَ الحق في أن تيأس! ولكن إذا كان خلقَكَ بسبب صلاحه لكي تحصلَ على خيرات الملكوت، فلماذا اليأس؟ يقطن اليأس فقط في الجحيم. هناك دائماً الرجاء بالخلاص ما دمت حياً (العظة الأولى إلى ثيودور الساقط). "المجد لك أيها المسيح إلهنا يا رجاءنا المجد لك". هذا ما نكرره دائماً في كنيستنا.

"إن قبضة ملآنة من الرمل مرمية في البحر تضيع وتُحمل من الماء. كذلك الأمر، إن خطايانا تضمحل عندما تقابل عطف الله" (القديس اسحق السرياني، العظة ٥٨). هذا يعني، أنّ خطايانا أمام رحمة الله هي كقبضة الرمل

بالنسبة إلى مياه البحر! إن عطفه قادر على أن يغفر كل شيء. ارتكب الرسول بطرس أسوأ الخطايا إذ أنكر الرب ثلاث مرات! لكنّه عندما تاب قَبِل الرب توبته. بل وأكثر من ذلك عيَّنَه الأوّل بين الرسل!

إذاً، من منظار الله، مسامحتك ليست مشكلة فهو بالتأكيد سيغفر لك. لكن المشكلة هي من منظارك. فما هو غير أكيد هو أنك ستعترف بكل خطاياك لتنال رحمة الله.

الاعتراف والغفران

نكرّر كلام القديس يوحنا الذهبي الفم: "لا شيء يجذب رحمة الله أكثر من الاعتراف بخطاياك" (عن المزمور ١٤٠). إن الاعتراف بإخلاص يُنتِج غفراناً مباشراً، لذلك ينصح القديس يوحنا السلمي الآباء الروحيين: "إن كان لديكم موهبة الرؤيا، لا تخبروا هؤلاء الذين يعترفون ما هي الخطايا التي ارتكبوها. عوضَ ذلك حثّوهم على أن يعترفوا بأنفسهم حتى يحصلوا على الغفران بوفرة" (إلى الراعي، ٤٨). في مكان آخر، يشير القديس يوحنا إلى رجلٍ ذهبَ إلى الدير ليترّهب واعترف أمام جميع

الآباء. خلال الاعتراف، كان ملاك واقفاً إلى جانبه حاملاً لائحةً من الخطايا وكان يشطب منها كلّما اعترف (السلم إلى الله ٤:١٢). هذه القصّة تعني أن الشرط لمغفرة الخطايا هو الاعتراف، وأنّه لا ينبغي بالمعترف أن يربك نفسه بخطايا اعترف بها قبلاً فهي مغفورة. يرِد في أفشين سرّ الاعتراف: "وما اعترفتَ به من الخطايا لا تهتمْ له البتة بل اذهبْ بسلام". يذكر أحد الأقوال: "الخطيئة المُعتَرَف بها لا تبقى خطيئة". فإذا كنتَ قد اعترفتَ بخطيئتك لا ينبغي أن تعترف بها من جديد. وإذا اعترفت من جديد، تكون كمن يشكّ في السرّ، وهذا خطيئة. لكن من الممكن أن تعترف بشكّك!

أفكار مغلوطة

تنتشر بين المؤمنين بعض الأفكار المغلوطة حول الاعتراف، نورد بعضاً منها:

الراحة

يقول البعض: "أنا ذاهب لكي أعترف وأرتاح". هذا خطأ. إذا لم تكن تائباً يؤنبك أبوك الروحي على ذلك،

فهل تشعر بالراحة؟ إذا تُبت وقد انتُقِدْتَ لخطاياك، أتشعر بالراحة؟ إذا مُنِعت عن العلاقات الجنسية وقال لك أبوك الروحي أن تقطع كل العلاقات مع الشخص الذي ترتكب معه الخطيئة، أتبقى هادئاً؟ وإذا قال لك أن تصوم بصرامة وتعمل سجدات (كما ترى القوانين المقدسة)، أتكون مرتاحاً؟ وإن قال لك أن تتوقف عن الشرب وعن التلفزيون وعن كل ما قد يؤثّر على حواسك، أتكون مرتاحاً؟

بيدَ أن هذا يكون لمنفعتك. قد تشعر بالراحة إذا قال لك أبوك الروحي "كُلْ، واشربْ وتناولْ"، لكن هذا ليس لمنفعتك. فبدلاً من أن تقول أنّك ذاهب لتعترف لتكسب شعوراً براحة أو هدوءاً، يجب أن تقول: "إني ذاهب للاعتراف لكي أخلّص نفسي".

كمَ مرّة؟

كمّ مرّة يجب على المسيحيين أن يعترفوا؟ عليهم أن يبادروا حالاً إلى الاعتراف في كلّ مرّة يرتكبون خطيئة جديّة. فالاعتراف في هذه الحالة إلزامي. قد لا يكون من الضروري الذهاب حالاً للاعتراف لخطايا أقلّ جديّة. من الممكن للشخص أن يسأل الله المغفرة وعندما تأتي

المناسبة يذهب إلى الاعتراف.

الزمن

يقرّر الإنسان أن يعترف بجميع خطاياه، فهل يسأل نفسه كم من الوقت يحتاج؟ لنحسب أنه ارتكب أربع خطايا ويريد أن يعترف بها: الافتراء، الإدانة، التجديف والغش. بمقدوره أن يسرد ستين كلمة في دقيقة واحدة. فكم من الوقت يحتاج لكي يعترف؟ أتكفي دقيقة واحدة؟ ألا تكفي عشرون كلمة؟ من الممكن أن يزيد شيئاً من "التوابل" أو التوضيح إلى اعترافه، فهل تكفي خمسون كلمة؟ خلال الاعتراف، يصير الكلام "رخيصاً". لكن كثرة الكلام تُظهر مدى حاجة المعترِف للندامة وإخلاصه في اعترافه. لذا، من يثرثر أثناء الاعتراف يكون بحاجة للندامة والإخلاص.

الاعتراف والمناولة

إذا ما رغب أحد المؤمنين من الذين يصلّون ويصومون في أن يتقدّم إلى المناولة المقدسة، فيما يتعذّر عليه الاتّصال بأبيه الروحي، أيتناول من غير اعتراف؟ يعتمد الجواب على الظروف.

* إذا كان قد مضى عليه سنوات من غير اعتراف، فعليه أن يأخذ البركة من أبٍ روحي حتى يتناول مهما كانت هذه الخطايا. لا ينبغي أن يتناول من دون بركة.

* أمّا إذا كان يتناول مراراً بسماح من الأب الروحي ولكن يتعذّر عليه الاتّصال به والخطايا التي يرغب بالاعتراف بها ليست جديّة (كالغضب والسخط مثلاً)، بإمكانه أن يتناول بعد أن يسأل الله المغفرة.

* إذا كانت خطيئة هذا الإنسان جديّة (كالتجديف، الإجهاض أو الزنى)، فعليه أن لا يتقدّم من المناولة من غير اعتراف.

عندما تنسى خطاياك

ماذا تفعل إذا ذهبتَ إلى الاعتراف ونسيت بعض الخطايا؟ الخطايا الصغيرة، التي لا تثقل ضميرك، تُنسى بسرعة، لذا لا تنزعجْ فهي مغفورة. يَرِد في أحد أفاشين سرّ الاعتراف: "وتلك (الخطايا) التي لم تعترف بها عن جهل أو عن نسيان أو لأي سبب تغفر لك الآن وفي الدهر الآتي". أما الخطايا الجديّة فلا تُنسى. أحببتَ ذلك أو لم تُحِب، أنت تتذكرها على الدوام وخاصة عندما تذهب إلى الاعتراف.

إذا "نسيتَ" هذه الخطايا فعليك العودة إلى أبيك الروحي من جديد قبل أن تتقدم إلى المناولة المقدسة.

أب روحي آخر

أيليق أن تذهب إلى إنسان غير أبيك الروحي، الذي اعترفت عنده مراراً، لتعترف عنده لمجرّد أنك ارتكبت خطيئة جديّة وتخجل بذلك؟ في التوبة الحقيقية لا خجل. إذا كنت تائباً حقاً فسوف تذهب إلى أبيك الروحي. أمّا إذا كنت غير تائب، فأنت تربك نفسك في الذهاب إلى معرّف. ماذا تفعل؟ أتخفي هذا عن أبيك الروحي؟ سوف تجد نفسك "مربوطاً". قال الرب: "كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء" (متى ١٨:١٨). ماذا تعمل إذا ألزمك الأب الروحي "الآخر" بقانون صعب؟ كأن يمنعك من المناولة لمدة شهرين أو ثلاثة. ألَن تخبر أباك الروحي؟ فإذا قال لك أبوك الروحي أن تتناول الأحد المقبل، غير عالمٍ بما فعلت، ماذا تقول له؟ أترى كيف قيّدت نفسك؟

حتى لو كشفت لأبيك الروحي العمل التكفيري الذي فرضه عليك الكاهن الآخر فهو لا يستطيع أن يحلّك من العقوبة. يجب أن تلتزم بها أو أن تذهب إلى الكاهن

الآخر حتى يحلّك (إذا رأى ذلك). ماذا لو أن أباك الروحي كان غائباً لفترة طويلة من الزمن وارتكبت خطيئة جديّة؟ أتبقى من دون اعتراف؟ في هذه الحالة، وفقط في هذه الحالة، يجب أن تعترف لكاهن آخر. وعندما يعود أبوك الروحي يجب أن تخبره.

طلب صلاة الغفران

يطلب العديد من المسيحيين أن تتلى لهم "صلاة الغفران" قبل المناولة ومن دون أن يعترفوا. ما مدى صحّة هذه الممارسة؟ شرط تلاوة الصلاة هو أن تعترفَ بخطاياك. تقول الصلاة "تَقَبَّلْ اعتراف عبدك". فإذا لم يكن هناك اعتراف بالخطايا، ما معنى تلاوة هذه الصلاة؟ في هذه الحالة، قد يكون من المناسب تلاوة صلاة أخرى قصيرة للمغفرة والصفح عن الخطايا غير الجديّة.

تناول الماء المقدس

في كنيستنا تقليد يقضي بتناول الماء المقدس في بعض الحالات "للتطهير"، أي لتحضير النفس وتطهيرها لكي تتقبل جسد المسيح ودمه. بالتأكيد، الماء المقدسة لا تساوي المناولة المقدسة وليست بديلاً عنها، إذ من غير

الممكن أن يحُل أي شيء محل المناولة أو أن يستعاض عنها بأي شيء. هذا يعني أن باستطاعتك أن تصوم صوماً كاملاً اليوم، تتناول الماء المقدس غداً، وتتقبل المناولة المقدسة بعد غد.

الكفارة

يُعرف التكفير كدواء لشفاء الشخص الذي اعترف. يرتكب الطبيب جُرماً عندما لا يبالي أو لا يعطي الدواء الصحيح. هذا يصحّ أيضاً بالنسبة للأب الروحي إن لم يعطِ "الدواء" المناسب (صوم، صلاة... إلخ) للشخص الذي اعترف. يقول القديس باخوميوس الكبير: "إن لم نعطِ الدواء الصحيح لخلاص النفس، فمن الطبيعي أن نُدان كمزدَرين بأخينا" (إفرجتينوس ٤، ص ٥٥٧:٩). ينبغي ألاّ نتوقّع من الشرير أن يهتمّ لخلاص الخراف الناطقة التي ائتمننا الله عليها.

هدف الكفارة

*** التكفير عن الذنب**

لنحسب أنك ارتكبتَ خطايا. قد يجوز استعمال أحد

التعابير الأرضية التي وردت في الكتاب المقدس بأنك "أغضبت" الرب (كولوسي ٣:٦) وعليك أن تسترضيه، بالرغم من أن الله بعيد عن الأهواء. يقول الآباء القديسون الذين يعرفون "أسرار" الرب بأنّه يرضى بالصوم والصلاة. "يمكننا أن نرضي الله بواسطة الصلاة والصوم" (خدمة قص الشعر). يرضى الله عندما يرى خليقته، التي ابتعدت عنه بالخطيئة، تحاول بإخلاص أن تتوب. لهذا، الصلاة والصوم هما جوهر الكفارة (القوانين ٦و٧ للقديس يوحنا الصائم). يلجأ المسيحي الحقيقي إلى الصوم والصلاة عندما يُخطئ. إنه بهذا يحاول أن "يعادل الميزان" الذي مالت كفّته بسبب ثقل الخطايا، وهكذا يسترضي الرب.

عاش راهب قديس يُدعى يعقوب في الكهوف لمدة خمسٍ وأربعين سنة وكان طعامه الوحيد الحشائش والأعشاب. كان صاحب العديد من الفضائل وصانعاً للعجائب وكان الناس يتراكضون إليه لأخذ "بركته". جاءه في أحد الأيام زوجان بابنتهما الممسوسة لكي يشفيها، وبالطبع شفاها. لكنّ والديها خافا من أن يتملّكها الشيطان من جديد، فطلبا إلى الأب يعقوب أن

تمكث الفتاة عنده لعدة أيام، فقبل. وللحال كشَّرَ الشرير عن أنيابه. فسقط الأب ذو الموهبة الروحية والفضيلة في زنى مع الفتاة وقتلها. وعندما عاد إلى رشده دخل قبراً طالباً من الله الرحمة بالصوم والسهر والصلاة. في تلك الأثناء، ضرب تلك المنطقة الجفاف، فطلب الأسقف والكهنة والشعب الرحمة ليلاً ونهاراً. فأجاب الرب: "إن صلّى الراهب يعقوب استُجيبت ابتهالاتكم". فعندما صلى الراهب يعقوب، الذي سبق له أن زنى وقتل، لم تمطر فقط بل هطلت بغزارةٍ. فهو، بصومه المؤلم والمتواصل، لم يكن يسترضي الرب بل كان يكفّر عن ذنْبه، ولذلك مجده الله، فاستجاب له بالرغم من أنّه لم يستَجِب لصلاة الأسقف والشعب مجتمعين. تحتفل الكنيسة لذكرى هذه الشيخ في ٢٨ كانون الثاني. هنا نكرر كلمات الكنيسة: "بالصلاة والصوم نستطيع أن نسترضي الله".

*** الوعي**

هذا هدف ثانٍ للكفارة: "لأن بالناموس معرفة الخطيئة" (رومية ٣:٢)، وهذه هي حال الكفارة. اعترف

أحدُهم بخطيئة جديّة قبل عيد الميلاد وغُفرَت خطيئته. وعلى الرغم من ذلك، لم يسمح له أبوه الروحي، التزاماً بالقوانين الكنسية بأن يتقدم إلى المناولة في عيد الميلاد بل أبقاه إلى عيد الفصح. تعجّب هذا الإنسان وتساءل: "لماذا لا يمكنني أن أتناول قبل عيد الفصح؟ أليست المناولة المقدسة هي نفسها في العيدين؟ أيغفر لي المسيح خطاياي في الفصح ويذكرها في الميلاد؟"

لقد غُفرت خطيئته بعد الاعتراف، لكن هدف حرمانه من المناولة هو أن يزداد وعيه لخطاياه. مثلاً، كلّ عائلته تذهب إلى الكنيسة في عيد الميلاد، ويتناول كلّ أفرادها ومعهم جميع الحاضرين في الكنيسة، ما عداه هو. حينئذٍ يقول لنفسه: "لماذا ارتكبتُ الخطيئة؟ لن أعود لذلك من جديد". بهذا يصبح أكثر تحسساً لخطاياه. لكن لو سُمح له بالمناولة مباشرة لَما كان بلغ المستوى عينه من الندم والإدراك. نستطيع أن نرى كيف أن الامتناع عن المناولة كان لصالحه. إلى هذا، قد يمنعه أبوه الروحي ليس فقط عن المناولة بل أيضاً عن الزيت يومي الأربعاء

والجمعة ويأمره بأن يقوم يومياً بسجدات على حسب ما تضعه القوانين الكنسية.

إن نتيجة هذه "المعاناة" تجعله يفكّر ملياً في خطاياه. لذلك يجب أن ننظر إلى العقوبة الروحية إيجابياً وإلى أبينا الروحي كمحسِن وليس كمؤدِّب، وأن نقدّره بالأكثر لأنه لم يهمل القوانين المقدسة، أي أنّه لم يتأثر بمشاعره الخاصة، وبهذا هو يحسِن إلينا. يقول القديس باسيليوس الكبير "يُظهر مرضى الجسد ثقة كاملة بطبيبهم فيقبلون الدواء المرّ ومبضع الجراحة. إنهم يرون طبيبهم كمحسِن. يجب علينا أن نخجل عندما لا نرى أبانا الروحي الذي يعطينا العمل التكفيري من أجل شفاء نفسنا بالطريقة عينها" (القواعد الطويلة، ب، ٥٢).

درجة العقوبة الروحية

تعتمد درجة العقوبة على "الجو" العام للفترة الزمنية التي يعيش فيها المسيحي. هذا وفقاً "لروح" القانون ١٨ للقديس باسيليوس الكبير. مثلاً، إن الزاني في الأزمنة الأخيرة ينال عقوبة أقل مما كانت عليه عقوبة الزنى في زمن القديس باسيليوس الكبير حيث كان هناك تقدم

روحي أكثر.

التوبة

قد تقصُر مدة العقوبة إذا كانت التوبة حقيقية والاعتراف واضحاً بنقاوة: "أيها الآب إنني مستعد أن أعاني أي شيء من أجل أن يُغفر لي". إذا كانت التوبة من كل القلب يرافقها امتناع عن الخطيئة، فقد تكون المناولة ممكنة بعد ثلاثة أيام بحسب القديس بيمن (أقوال الآباء الشيوخ: ١٢). أما إذا كان المعترَف غير تائب وعلى الأب الروحي أن يلعب دور الباحث ليجد ما فعله فهو يكون مستحقاً لعقوبة أثقل. يقول القديس باسيليوس في القانون ٦١، بالإضافة إلى القانون الرابع للقديس غريغوريوس النيصصي، "مَن لا يعترف بخطاياه ولكنه يكشف عنها بعدما يُسأل فإن العقوبة يجب أن تكون ضعفين في القساوة من عقوبة الشخص الذي يعترف وحده ويندم. هذا يحصل بسبب قلّة الندم في هذه الحالة".

كيف يستطيع الشخص أن يتناول جسد المسيح ودمه حين تكون لذة الخطيئة عذبة في ذاكرته ونفسه شبيهة بنجر القاذورات؟ لذلك، القرار يكون لك عند المناولة

وليس للأب الروحي! يعتمد الأمر على درجة الندامة والصلاة وبغض الخطيئة وابتعادك عنها. " العامل الحاسم ليس الوقت بل وسائل التوبة" (القانون الثاني للقديس باسيليوس الكبير).

الموافقة

يقول معلم كنيستنا الكبير، القديس يوحنا الذهبي الفمّ، ناصحاً الآباء الروحيين: "لا ينبغي تحديد العقوبة بحسب الخطيئة فقط بل أيضاً بحسب استعداد الشخص الذي ارتكب الخطيئة. إذ بدلاً من أن يُصلح المِزَق، قد يزداد تمزقاً". في هذه الحالة، تصبح القوانين الكنسية أسلحة تقتل الخطأة. لقد حدّد المجمع المسكوني السادس درجة العقوبة لكلّ خطيئة، لكنه تبنّى في خاتمته القانون المقدس ١٠٢ الذي يقول: "إن العقوبة هي بحسب اجتهاد الأبّ الروحي الذي يجب أن يكون محترِساً حتى لا يُغفل الخطيئة، وفي الوقت نفسه، أن يتأكد من ألاّ يكون الحمل خفيفاً جداً".

الصوم والتوبة

"إن الصوم هو بداية التوبة" (القديس باسيليوس

الكبير، في الصوم ب ٧). أنت تبدأ بالتوبة عندما تبدأ بالصوم لأن الصوم ينقّي النفس. أنت لا تكون تائباً ما لم تَصُم: "التوبة من غير صوم هي لا شيء" (القديس باسيليوس الكبير في الصوم، أ، ٣). "الصوم هو الدواء الذي يقتل الخطيئة التي تعشعش في أعماق النفس" (القديس باسيليوس الكبير في الصوم، أ، ١). الصوم يشفي الخطأة.

ما معنى هذا الكلام؟ لنحسب أنّك ارتكبت خطيئة جديّة واعترفتَ لكنك ما زلت تشعر بالذنْب. كيف تشعر بالذنْب بعد الاعتراف؟ إن الندم الذي تشعر به ينتج عن أنّك لم تجاهد ضدّ الخطيئة ولم تطهّر نفسك بالصوم. "بالصوم نغسل أمراض نفوسنا وأوساخها" (التريودي، الأسبوع الأول، سحر السبت). إن القديسة بيلاجيا كانت عاهرة سابقاً لكنّها نالت بالصوم الغفران الكامل وبالتالي سلامة الضمير (قنداق ٨ تشرين الأول).

المصالحة مع الله

إن محبة العالم عداوة لله. فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار، شاء أو أبى، مذنباً أمام الله وعدواً له

(يعقوب ٤:١). فإذا كنت ترغب بالمصالحة بينك وبين الله يجب أن تُنكر ملذات هذه الحياة الخاطئة.

إن الصوم هو السمّ الذي يقتل أهواءنا. إنه الوسيلة التي تصالح الأثمة مع الله. إن هؤلاء الذين أخطأوا وابتعدوا عن الله يرجعون ويتصالحون معه بالصوم والصلاة. منسّى وحزقيال وآخرون تصالحوا مع الله بالصوم. لقد دفع داود من أجل ارتكابه الزنى الصوم الصارم: انقطع عن الزيت (مزمور ١٠٨:٢٤)، صارت عظامه ظاهرة للعينين كهيكل عظمي من كثرة الصوم (المزمور ٢٢:١٦)، تحوّل من عدو إلى صديق فقديس لله. هذه نتيجة الصوم. بكلام آخر، إذا كانت اللذة (الخطيئة) تُغضِب الرب، فمن الطبيعي أنّ الحزن وآلام الجسد تُسرِّه إذا كانت لتُظهر أن الإنسان يقوم بخطوات صادقة على طريق الصلاح. "إنّ البعض يُسرون الله بالألم" (القديس يوحنا السينائي عظة ١٤:١١). "بالنسبة للخاطئ التائب، ما من شيء يُسهم أكثر من الصوم في نواله الرحمة من الله" (القديس غريغوريوس بالاماس العظة ٩:١٠).

الصوم كعقوبة

لقد حَثَّ القديس يوحنا الذهبي الفمّ المسيحيين على الصوم ليساعدهم على التوقف عن الحلف واللعن. "سأعلّمكم طريقة لا بدّ أن تنجح. إذا شاهدتَ زوجتك أو أولادك يرتكبون خطيئة فمُرْهمْ بأن يناموا من غير عشاء، إذ عندما يُبتلى اللسان بالجوع والعطش إنه يذكّرنا بأن نمتنع عن الحلف" (العظة الخامسة). الشيء نفسه صحيح بالنسبة للغش، الإدانة، والتجديف واللعن. لهذا السبب، تطلب القوانين صوماً صارماً من الخطأة. (القانون الأول للاودكيا والقانون الثالث عشر للقديس يوحنا الصائم).

النذور

قبل أن تنذر، فكّر بعناية بقدرتك على أن تؤديه (ابن سيراخ ١٨:٢١)، إذ إن عدم الوفاء خطيئة. لنحسب، تسأل الإرشاد من أبيك الروحي لأنك نذرت ولم تستطع أن تفي. أباستطاعته أن يحلّك من نذرك؟ إذا كان نذرك مخالفاً لقانون الكنيسة وتقاليدها فإنه باطل (القوانين ٢٨و٢٩ للقديس باسيليوس الكبير). لا نستطيع أن نضع

أنفسنا فوق قوانين تقليدنا الكنسي. هاكم بعض الأمثلة على ذلك:

* نذرت بأن تتناول كل يوم. ولكن هذا القرار ليس لك بل يخضع لتمييز أبيك الروحي. هذا يخالف تقليد الكنيسة وعليه هو باطل.

* نذرتَ أن تمتنع عن الزيت يوم الأحد. هذا تمنعه الكنيسة.

* نذرتْ أم أن تعطي ابنها اسماً معيّناً وأن تعمدّه في كنيسة معينة. لكن زوجها رفض ذلك ويجب أن يؤخذ رأيه بالاعتبار كونه رأس المرأة (أفسس ٥:٢٣). لذا يكون نُذرها باطلاً (عد١٠ :٣٠).

* أقسمت امرأة على أن تمتنع عن العلاقة الجنسية، من غير موافقة زوجها. هذا قَسَم مخالف لقانون الكنيسة وباطل.

النذور والتقدمات

يُقَدَّم النذر لله. لهذا، تُعتبر التقدمات إلى الله مقدسة (لاويين ٥:٥٢). إلى اليوم، دير القديس نيقولاوس في أخائيا (اليونان) هو مقصَد زوار كثيرين من أهل سباتا الذين

يحملون نذوراً إلى القديس. يُروى أن هذه التقدمات كانت في كثير من الحالات من المواشي (الماعز والخِرفان والبقر). ما أن تقترب الحيوانات من الدير حتى تُكمِل الطريق لوحدها وتقترب من أيقونة القديس وتركع إجلالاً أمام الأيقونة كأنها مُدركة بأنها قُدمت إلى القدّيس التي وُعِدتْ بها.

يقول الله: "فاخرج من شفتيك احفظ كما نذرت للرب إلهك تبرعاً كما تكلم فمك" (تثنية ٢٣ :٢٣). بكلام آخر، يجب أن تعطي الرب ما وعدت به أي كل ما كان نذرك أو تقدمتك.

في صيف ١٩٧٦، نذر أحد القرويين أن يقدّم حصاناً لدير العذراء مريم بروسيوتيسا في اليونان. لكنّه تراجع وقرّر أن يعطي مبلغاً من المال يساوي قيمة الحصان. وفي أحد الأيام، وقع الحصان على الأرض ولم يستطع الرجل أن يقيمه على رِجْلَيه إلى أن أدرك أن الحصان لم يعدْ له، بل هو مُلك الدير. فنهض الحصان فأخذه إلى الدير.

نَذَر إنسان يعيش في أثينا أن يعمّد ولده في كنيسة القديس جاورجيوس في مدينته الأم. ولكن في الوقت

المحدد، لم يعد يرغب بالرحلة فبحث عن أقرب كنيسة للقديس جاورجيوس. لكنه ندم لقراره وسأل الإرشاد من أبيه الروحي الذي قال له أن يلتزم بنذوره.

إلى ذلك، إن الله يتوقع وفاء النذور بأسرع ما يمكن: "فلا تؤخر وفاءه" (تثنية ٢٣:٢٣). فإذا أجَّل الإنسان بسبب الإهمال أو الكسل يكون تصرفه خلافاً لمشيئة الله. بقدر ما يتأخّر تَعْظُمُ الخطيئة.

الأب الروحي

أقسم إنسان، ضمن حدود القانون والتقليد الكنسي، ولم يقدر أن يحفظ نذره. ماذا يحصل بعدئذ؟ إن كان حقيقةً لا يستطيع أن يحفظ نذره فإن أباه الروحي الذي يملك سلطة الربط والحل، يقدر أن يحرره، معطياً إياه عملاً تكفيرياً عما صنع.

مثلاً، إنسان فقير نذر أن يبني كنيسة من ذهب، فهل يستطيع أن يحفظ نذره؟ إذا كان قادراً على الإيفاء، وجب عليه ذلك وما من سبب لأن يُحل منه. قد يملك الأب الروحي السلطة أن يربط أو يحلّ ولكن ذلك فقط بحسب روح الكتاب المقدس والكنيسة.

الجزء الثالث

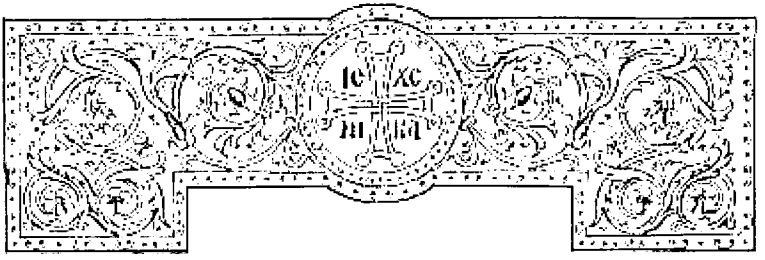

الطاعة والمنطق

المعلمون الهندوسيون الكبار قاتلو المنطق

قال المعلم الكبير الأمير الهندوسي لتلاميذه (ضحاياه بالحقيقة):

"إن عقلكم شيء حزين جداً ومؤسف جداً وأحمق جداً... يجب علينا أن نرميه خارجاً في الزبالة...حرروا ذواتكم من عقولكم".

إنه يصرّ على الاستسلام من غير شروط، كجثة أعطيت إلى المجهِّز. بهذه الرسالة وبشكل مهلك يجرح المعلمون الهندوسيون الكبار ضحاياهم. إنهم يجرّدونهم من منطقهم. فالضحايا يُصبحون أناساً لا رأي لهم، كلّ ما يخرج من فم المعلم الكبير، آليين.

الأب الروحي يصغي ثم يُسدي النصح، بينما المعلمون

الهندوسيون يُسدون النصح من دون إصغاء.

الأب الروحي

بحسب الكنيسة الأرثوذكسية، ما من أحد كامل. مَن يؤمن بأنه معصوم عن الخطأ يرتكب أكبر غلطة. حتى الأب الروحي الأكثر قداسة، معرّض لأن يرتكب الأخطاء، لا ينبغي أن يفتكر الأبناء الروحيون أن أباهم الروحي كامل، كما يعُتقد بالمعلمين الهندوسيين، فهم يملكون الحرية لأن يستفهموا رأيه. هذا يعني أنهم يبدون رأيهم بتواضع واحترام إذا كان أبوهم الروحي على خطأ. فإذا كانت وصاياه تخالف الكتاب المقدس، يجب عليهم أن لا يطيعوه، بحسب القديس باسيليوس الكبير. أمّا إذا كانت وصاياه بحسب الكتاب المقدس فيجب اتّباعها (القواعد الطويلة، ب، ٤٧).

بكلام آخر، في الكنيسة الأرثوذكسية لا ينتهي الأبناء الروحيون ككائنات بلا مشيئة في أيدي أبيهم الروحي، من غير رأي ومنطق. إنهم يملكون رأيهم وقرارهم الشخصي، أحرار أن يرفضوا وأحرار أن يطيعوا. هذه الطاعة لا تهدف إلى قهر المنطق بل لسحق "الأنا" التي

لا تهدأ. قد يكون رأيك أصحّ من رأي أبيك الروحي، ولكن الطاعة له تضرب أنانيتك. هذا يمكن أن يتمّ بالطاعة المستمرة. فعندما تُقهر الأنانية، يتنقّى العقل. إن الالتزام بعلم الغيب يقتل المنطق والإرادة الحرة، أما الالتزام بالكنيسة فيحيي المنطق وينقيه ويقدسه.

عظمة الطاعة

أولاً: إن إرادتنا مرتبطة بطبيعتنا. إنّها متحدة بها. عندما نطيع بخلاف إرادتنا، كما قال راهب من الجبل المقدس، نكون كَمَن سُلِخَ جلده حيّاً. لهذا السبب، الذين تبعوا طريق القديس استفانوس أول الشهداء، هم شهداء.

ثانياً: إن الطاعة صالحةٌ، خاصة عندما لا نوافق وعندما نراها غير منطقية. من جديد، إننا أحرار وبالطبع مطلوب منا أن لا نقبل شيئاً غير أخلاقي أو مؤذياً لنفوسنا أو للآخرين. إذا التزمنا ما نوافق عليه لا نكون في الجوهر ممارسين للطاعة التي تؤدي إلى الشهادة. "إن بعض العائشين في الطاعة يستغلّون تساهل رئيسهم ولطفه ليستأذنوه في اتّباع ما يوافق رغائبهم. ولكن فليعلم هؤلاء

أنهم بحصولهم على ما يريدون يحرمون أنفسهم كلياً من إكليل الجهاد. لأن الطاعة غريبة عن المداهنة والرغبات الخاصة" (السلم إلى الله ٤ :١٠٧).

ثالثاً: تُثمِر الطاعة عندما تكون من القلب، ولا يُنظَر إليها كعمل خارجي. يُجبَر العبيد على طاعة الأوامر، فيما هم في الداخل يستشيطون غضباً ويلعنون قدرَهم. الويل لهؤلاء الذين يطيعون آباءهم الروحيين بهذه الطريقة.

ما يلي بعض الأمثلة على الطاعة الحقّة:

تحوّل ١٨٠ درجة

تخطر فكرة في فكرك وتكشفها حالاً لأبيك الروحي الذي لا يوافق عليها فتطيعه من كلّ قلبك. ما من سبب يجعلك تفاخر "بظفرك"، إذ لم تعطِ الفكرة مزيداً من الوقت لتدخل إلى جهازك و"تتغرس" وترسم خطة العمل. فليس فقط أن البذرة لم تنبت، بل أنها لم تصل إلى الأرض. ماذا كنت لتفعل لو أن البذرة نبتت، أي لو أنك أخذت قرارك وقمت بالعمل؟ لقد كان يحقّ لك أن تفتخر لو أنّك، بعد أن قمتَ بعمل ما يحلو لك، تبتَ وتخليّتَ عن مخططك وتبعت إرشاد أبيك الروحي، أي لو أنّك تغيرت

١٨٠ درجة.

مثال معروف جداً. بعد أن صعد القديس سمعان العمودي على العمود، خشي بعض الآباء من أن يكون عمله نتيجة الضلال فجاؤوا ليختبروه. لكن القديس أظهر حالاً استعداده لأن ينزل عن العمود، حينئذٍ قال له الآباء "ابقَ حيث أنت". لقد تبدّل شكّهم وتبدد بسرعة لأن طاعته كانت برهاناً لهم بأنّ القديس سمعان لم يكن مخدوعاً. إن الواقع في الضلال لا يُغيّر عقله أبداً.

تجنّب اللامعقول

غرس رئيس أحد الأديار غصناً يابساً في الأرض. ولكي يثمر كان ينبغي أن يسقيه كلّ يوم. كانت عين الماء بعيدةً جداً، لذا حدّد راهباً ليهتمّ به، فكان يترك ليلاً ويعود صباحاً! (أقوال الآباء الشيوخ، الأب يوحنا الكولوفي، ١).

بالحقيقة، لقد كان هذا العمل جنونياً إذ من المستحيل أن ينبُت الغصن اليابس. ما كنتَ لتفعل لو كنتَ في مكانه؟ ماذا لو أنك أطعتَ، فكنت تنطلق في الليل وتعود في الصباح، تعِباً جائعاً بلا نوم لتسقي غصناً يابساً

وتـرى أن المـاء يـضيع في الأرض. هـل كنـتَ لتحيـا هـذا الجنون؟

لقد أطاع الراهب وكان يجاهد يومياً، لا لأسابيع أو أشهر، بل لثلاث سنين! والنتيجة؟ لقد أثمر الغصن! لكن الروعة ليست في أن الغصن قد أثمر (فالله فعل ذلك)، بل في أنّ الراهب عمل غير المعقول بمعرفة وبجهد هائل لمدة ثلاث سنين. هذه هي الطاعة!

تستطيع كل شيء ؟

أينبغي أن تكون قادراً على كل شيء، حتّى الخطيئة؟ لقد قال الرب: "فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا" (متى٢٣ : ٣). هذا الكلام يعني ألاّ تقلّدوا أعمال الآباء الروحيين الشريرة. هذا يعني أيضاً أننا غير ملزَمين باتّباع كلامهم إذا كان شريراً. يقول القديس باسيليوس الكبير: "إذا كان ما يقولونه لكم هو حسب وصايا الرب فيجب عليكم أن تطيعوا حتى الموت. أمّا إذا كان يخالف الوصايا الإلهية أو يحوّرها، فيجب أن لا تطيعوا، ولا بأي طريقة، حتى لو جاءت الأوامر من ملاك، وحتى لو كانت

حيـــاتكم مهـــددة أو وُعِـــدتُم بالحيـــاة" (القواعـــد القصيرة، ٣٠٣).

السؤال: أيخطئ الإنسان إذا أطاعَ في هذه الحالة؟ لنفترض أن أباً روحياً أعطى ابنه الروحي بركةً ليزني، يكون كلاهما قد اقترف بهذا خطيئة جديّةً وقاد نفسه إلى الدينونة الأبدية لأنه نقض ناموس الله. ما من أحد في الكنيسة له الحق أن يلعب دور الحاكم، لا الأب الروحي بأوامره ولا الخاضعين له بالطاعة.

عدم الطاعة

سواء كنت راهباً أو كاهناً أو أحد العلمانيين، فمن صالحك أن يكون لديك أب روحي، لا لأن الآخرين لديهم بل لخلاص نفسك. فإذا كان لديك أب روحي يكون من صالحك أن تتبع إرشاده مهما كان قَدْرُكَ. وإن لم تتبع إرشاده بل تتبع أفكارك فلا معنى لوجوده.

الكبرياء

لماذا يتبع الإنسان أفكاره وليس أفكار أبيه

الروحي؟ لأنه يؤمن بأنّ عنده من الحكمة ما يجعل أفكاره تتعالى على أفكار أبيه الروحي. والأحمق أيضاً يؤمن بهذا. إنّه يرى من غير الصائب لشخص حكيم مثله أن يتنازل من عليائه ويطيع أباه الروحي. قد يسأل نفسه: من أنا حتى أتبع هكذا خرافات؟

من هو في أي حال ؟

قد يؤمن الإنسان أن أباه الروحي على خطأ، لهذا لا يطيعه. يجب ألاّ يُلام الأب الروحي، وفي الوقت نفسه هذا الابن بريء. لو قال له الأب شيئاً يوافق عليه، لكان أطاعَه. إنّه يطيع لا لأنه وافق على اتّباع إرشاده بل لأن الإرشاد يوافق تفكيره. هذا يعني في الجوهر أنّه ينصح نفسه بينما يقول أنه يطيع أباه الروحي. لماذا لم يُطِعْه عندما كانت اختلفت أفكارهما؟ أترى أنه يتبع نصيحة نفسه وليس نصيحة أبيه؟ ثمّة كبرياء وراء عدم طاعته. "إن شجرة السرو المتكبرة لا تنحني" (السلم إلى الله ٢٣ : ٧). هذا نفسه ينطبق عليه. فهو يبقى صِلباً وغير مطيع.

وهذا الأمر نفسه يصحّ حتى لو كان المسيح نفسه

هو أباك الروحي. لقد قال المسيح: "فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه" (متى٢٣ : ٣). هذا يعني: افعل كل ما يطلبه منك أبوك الروحي. أنت تستهين بالمسيح عندما تستهين بأبيك الروحي. إن أطعتَ نصيحته "غير المعقولة" (وليست غير الأخلاقية)، تكسب فرصة ذهبية لتحارب أنانيتك التي لا تكُنُ احتراماً للمسيح. أتفعل ذلك؟ أنت تقدم نفسك كشخص روحي وعندك أب روحي وتحزن لَمن ليس لهم أب روحي، لكنك لا تُصغي لأبيك الروحي. في الجوهر أنت أيضاً بلا أب روحي. مع ذلك، كي نكون عادلين، أنت تملك عقلك "الحكيم" و "الملهَم من الله" كمرشد.

المرشد الأحمق

إن عقلنا مكفهر بسبب خطايانا وأهوائنا المظلمة (فجورنا، أنانيتنا، غرورنا، كبرياءنا...إلخ). بالطبع، لا ينبغي علينا أن نعتمد على عقلنا الساقط كي يرشدنا في الحياة، إذ بسبب هذا العقل نحن نسير في الظلمة. بالتأكيد، نحن بحاجة إلى نور، إلى مرشد (أب روحي) كي ينقذنا من ظلمة الشهوة والخطيئة، "فنحن لا نستطيع

أن نتحمل كوننا بغير مرشد ومدبّر" (القديس غريغوريوس اللاهوتي، ب، ١٦).

نحن نعجز عن الاحتمال لأن عقلنا المظلم هو من يقودنا في هذا النوع من "الأبوة الروحية" الحمقاء.

يقول القديس مكسيموس المعترف: "إن الأهل يحبّون أولادهم بإفراط ويعتبرونهم أذكى وأجمل حتى لو كان الآخرون يعتبرونهم بشعين وحمقى. إن عقلنا يحب أولاده بإفراط؛ بكلام آخر يحب أفكاره. إنه يعتبرهم حكماء ومنطقيين حتى لو كان كل واحد من الآخرين يعتبرهم سخفاء". (افريجاتينوس٥-١- ص٢٣٩). قد تدخل فكرة حمقاء رأسك، ولكنك تعتبرها حكيمة لأنها فكرتك! بكلام آخر، إن الأنا التي فيك قوية جداً حتى إنها تعتبر كل ما هو لك جيداً مهما كان سخيفاً. حينئذ كيف تقيّم أفكار الآخرين؟ كيف تقبل النصيحة؟ كيف ستهجر "أباك الروحي"، الذي هو فكرك، وتتوجه إلى مَن هو "أقل درجة"، أي الأب الروحي أو الكاهن.

يقول ليو تولستوي أن الحماقة البالغة هي تمسّك أناني بفكرة ما دون أن يقيّمها الإنسان أو يبحثها. توصّلَ

تولستوي إلى هذه الخلاصة التي مفادها أنّ الحماقة هي شكل من الأنانية وهو على حق. أليس صحيحاً أن المجانين يعبدون أفكارهم؟ أو كما يقول جان جاك روسو "لأن الحجارة والحمقى فقط لا يغيّرون فكرهم". تنسجم نظرة تولستوي مع تعليم القديس يوحنا السلمي: "إن الكبرياء تسبق ضلال العقل" (الدرجة٢٢: ١). أيترك الإنسان أناه الأحمق يرشده؟ أيرضى بأن يصبر إلى ذلك؟

البركات

إذا أراد موظف أن يعمل شيئاً خارج إطار سياسة الشركة، عليه أن يطلب إذناً ممَن هو أعلى منه رتبة، كالمراقب مثلاً، كي لا ينقض قواعد الشركة. بالإشارة إلى حياتنا الروحية، فإن مراقبنا هو أبونا الروحي. إذا أردنا أن نحاول شيئاً جديداً أو نغيّر نمط حياتنا علينا أن نحصل على الإذن الذي هو بركة أبينا الروحي.

يحصر معظم المسيحيين علاقتهم بأبيهم الروحي بالاعتراف. هذه علاقة ناقصة. وهذا النقص يعيق تقدّم المرء الذي يحتاج إلى إضافة تكميلية، إلى طلب "البركة".

الرهبان يطلبون البركة من رئيس ديرهم بما يختصّ بجميع نواحي حياتهم. بعض العلمانيين يرون أنهم لا يحتاجون للبركة في ما يختصّ بأمور هذا العالم، مثلاً كشراء سيارة أو أي شيء آخر، بينما غيرهم يرون عكس ذلك. لكن عندما تأتي إلى الأمور الروحية (قانون الصلاة، المناولة...)، فعليهم أن يحصلوا على بركة أبيهم الروحي، وإلاّ فإنهم كمن يبنون بيتاً من غير أساس.

يقول أبي الروحي هذا

كان أحد السارقين سريعاً جداً حتى أنه ينهب الناس فيما هم ينظرون إليه. وفي إحدى المرات، خلال الاعتراف خطف ساعة الكاهن ووضعها في جيبه ولم يلاحظ الكاهن أن شيئاً حصل.

- أيها الأب القديس لقد سرقتُ

- السرقة يا بني خطيئة. يجب أن تتوقف عنها. ويجب أيضاً أن تردّ ما سرقت

- يا أبتي أخذت ساعة، فخذها

- لا يا بني ردّها إلى صاحبها

- لا يريد أن يأخذها

- احتفظ بها إذاً

- شكراً يا أبتي

لقد احتفظ بالساعة كبركة من أبيه الروحي! بعد سرقة الساعة، أزعجه ضميره: أيعيدها أو يحتفظ بها؟ لقد اختار أن يحتفظ بها خادعاً ضميره مجيباً نفسه في كل مرة تعود الفكرة إلى عقله: "لقد قال لي بأن أحتفظ بها. لقد أعطى بركته!"

الإنسان، إذ يحاول أن يرضي رغباته أحياناً بالحصول على بركة أبيه الروحي، يقدّم إليه المعلومات بطريقة محددة. علينا أن ننتبه لئلا نحصل على البركة من دون ضمير نقي.

النصح

جاء في قول يوناني مأثور حكيم: "إن لم يكن عندك مَن تسأله، سَل عصاك التي تتّكل عليها". هذا يعني أن تتصرّف دائماً بعد أن تطلب النصح، لا تعمل من ذاتك، بل ناقش الأمر مع أحدٍ ما إذ قد يقترح شيئاً لم

يخطر في فكرك. على المستوى الروحي، ضروري أن تناقش مع أبيك الروحي كلّ ما تفكر بعمله.

المتواضعون

الذين لا يعتبرون أنفسهم حكماء وكاملين يسألون النصح من أبيهم الروحي. إنهم يمثّلون التواضع، إذ من غير ذلك يكون التواضع ناقصاً. وإن كان ينقصك التواضع فلن تفلح روحياً وسوف تضعف أسسك. هاك مثلان على ذلك.

المثال الأول

انتشر صيت القديس أنطونيوس الكبير بعيداً حتى جذب انتباه الإمبراطور قسطنطين الذي عبّر عن رغبته في أن يلتقي القديس بإرساله دعوة له. احتار القديس أنطونيوس: أيذهب أم لا؟ وكونه متواضعاً، سأل النصح من تلميذه بولس الذي قال: "إذا ذهبتَ يقولون لك أنطونيوس، أما إذا بقيت فيقولون الأب أنطونيوس" (أقوال الآباء الشيوخ:٣١). فأصغى القديس أنطونيوس الكبير لنصيحة تلميذه. "أما سامع المشورة فهو حكيم" (أمثال١٢: ١٥).

المثال الثاني

لقد كان القديس بولس رسولاً عظيماً ولكنه كان يصغي إلى نصيحة أناس دونه وحتى من العلمانيين. مثلاً:

كان في أفسس تجمّع لعبدة الإلهة أرتاميس فطفقوا يصرخون حنقاً: "عظيمة هي أرتاميس الأفسسيين". فأراد الرسول أن يواجه الشعب الحانق لكن رأي تلاميذه كان مختلفاً فأصغى بولس إلى نصيحتهم (أعمال ١٩ :٢٨-٣٢).

في أورشليم، اتّهم اليهود بولس بأنه يستهين بناموس موسى وقد صدّقهم العديد من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية. عند وصوله إلى أورشليم بادره الشيوخ: "فافعل هذا الذي نقوله لك"؛ حتى يُهدؤوا المسيحيين اليهود، وقد أصغى لهم القديس بولس (أعمال٢١ : ١٧-٢٧).

إذا كان الرسول بولس الذي أخذ مكانته من الله نفسه، يحتاج إلى النصيحة فكم بالأحرى هذا ينطبق على تلاميذه! بكلام آخر، كل واحد، العلماني والراهب والكاهن، يحتاج إلى نصيحة، إذ ما من أحد كامل الحكمة إلا الله.

الحكماء

صرخ اشعياء "الويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم!" (اشعياء ٥:٢١). فالحكماء في أعين أنفسهم لا يرون أنّهم يحتاجون المشورة. لذا إذا وصل أحد "الموهوبين" إلى قرار بأن يأخذ النصح فإنه غالباً ما يهمله في النهاية.

كان أحدهم في حيرة: ما الذي ينبغي عمله؟ هذا العمل أم ذاك؟ العملان معاً؟ لكنه لا يستطيع ذلك. وبعد تفكير طويل بقي عاجزاً عن اتّخاذ قرار، وأخيراً "تذكّر" أباه الروحي. فمضى إليه وبادره: "يا أبتي، أرجو أن ترشدني. سأفعل أيّ شيء تقوله أنت"، فأجاب الأب الروحي: "يا بني افعل كذا...". فانتفض الابن قائلاً: "أي شيء عدا هذا يا أبتي".

أراد رجل أن ينتقل ليساكن صديقته. لكنّ ضميره أنّبه فذهب إلى أبيه الروحي طلباً للإرشاد. فقال: "يا أبتي، أنا بحاجة إلى مشورتك، إني أريد أن أعيش مع صديقتي ولكن فقط كرفيقة غرفة. أيمكنني ذلك؟" فاستغرب الأب الروحي: "كرفيقة غرفة؟" فأجاب الشاب: "نعم يا

أبتي". فسأله الأب: "لماذا إذاً ليس مع امرأة عجوز؟ انتبه يا بنيَّ. وراء هذه الفكرة (البريئة) تختبئ رغبة الخطيئة، وهناك يكون الشيطان. قد لا يجرّبك في هذه اللحظة، ولكنك لستَ أكيداً من الغد. ماذا لو غلبك؟ تذكّر القول المأثور أن البارود لا يقارب النار". فمضى الشاب بمزاج مرير قائلاً: "أصغي لما قاله لي!" ثم عاد وزار أباه الروحي مرة أخرى راجياً أن يكون قد غيّر فكره! فكان موقف الكاهن جازماً. فمضى الشاب من عنده، ليس خائباً وغاضباً وحسب، بل متّهماً الكهنة بإبعاد الناس عن الكنيسة. لو كان الكاهن قد ارتكب الخطأ وأعطاه البركة لكان موقفه: "إن هذا الكاهن جيّد! إنه متفهّم جداً، وهذا بالصواب ما نحتاجه نحن الشباب".

هذا القول ليس منطقياً ولا هو صادر عن ضمير حيّ بل عن شهوة ومصلحة ذاتية. هذا ما يرى فيه الكتاب المقدس حماقة واضحة: "الجاهل لا يُسر بالفهم بل يكشف قلبه" (أمثال ١٨: ٢).

الإصرار

يعرف أطباء الجسد المرض الجسدي، بينما يعرف

أطباء الروح، من آباء روحيين حكماء وقديسين، المرض الروحي. قد يخدعك فكرك بأن روحك في حالة جيدة، إلا أن أطباء الروح العارفين بمرضها قد يرون أنك مريض جداً، مثلاً: تناقش أمراً ما مع أبيك الروحي واصفاً نظرتك التي يرفضها، فتُعيد ذكرها أيضاً دون أن يقبلها من جديد. فتصرّ حتى يقبلَها. هذا الإصرار عارض لمرض جدي. يقول القديس يوحنا السلمي: "من يبتغي إقامة قوله في الحديث ولو كان قوله حقاً فليعلم أنه مريض بمرض الشيطان (بالتكبّر)" (الدرجة ٤:٤٨). هذا يعني أنّ عليك أن تتراجع وتقبل نظرة الآخرين حتى ولو كانت غير صحيحة. قد لا يتماشى هذا مع طريقة تفكيرك، لكن خلاصة تعليم القديس يوحنا السلمي "عميد كلية الطب": ماذا تعرف عن مرض الروح؟ انتبه إلى من لا تتفق معهم.

ويذهب القديس إلى أبعد من ذلك: "إن كان يفعل ذلك (أي بإقامة قوله في الحديث) مع أترابه فقد يشفيه يوماً انتهار من هم أكبر منه. أما إذا كانت هذه حاله مع من هم أكبر منه وأوفر حكمة فلا شفاء لمرضه عند

البشر" (الدرجة ٤ :٤٨).

إن الأب الروحي يفوقك بما يتمتع به من مميزات. لذا إن محاولة فرض نظرتك عليه تعني أن كبرياءك قوي وأنه، بحسب القديس يوحنا، ما من إنسان يستطيع أن يشفيك. فأنت "فيك شيطان" كما يقول الناس. "إن الله وحده قادر على شفاء المتكبرين" (الدرجة ٢٦ :٣٨).

يهوذا

لقد كان يهوذا تلميذاً للمسيح أي، بكلام آخر، لقد كان المسيح أباه الروحي، وكان رفيق المسيح لثلاث سنين. لقد رأى يهوذا لطفه وحكمته ووجهه الإلهي لكنه لم يستفِد منها بشيء أبداً. وفوق هذا، خسر نفسه. حُكِمَ عليه. وبالطبع، المسيح ليس مسؤولاً عن هذا، بل يهوذا وحده هو المسؤول إذ يخبرنا الكتاب المقدس أنه: "كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يُلقى فيه" (يوحنا ١٢ :٦). ما يعني أنه لم يسرق مرة واحدة فقط، بل كان سارقاً، أي أنّه كان يزلّ باستمرار.

يقول أحد الأقوال الشعبية: "كل بداية تكون صعبة". بالنسبة ليهوذا، البداية (أي السرقة) كانت صعبة ولكنه تدبر أمره لاحقاً. قد تكون بداية السرقة عنده مع مبلغ صغير فائض عن الحاجة. مثلاً، من الممكن أنه قال: "هذا فائض وأنا حافظ المال. فلماذا لا أحتفظ بالقليل لنفسي؟" ربما فكّر أيضاً: "يجب أن أسأل يسوع. فهو معلمي". لكنّه عاد فارتأى: "إن لي رأيي. ماذا لو أخذ مني الصندوق؟" ما الذي كان عليه عمله؟

كان عليه أن يسأل يسوع ويعترف بأفكاره. لكنه لم يفعل. لقد أجاب على سؤاله بنفسه ما جعله يرتئي أنّ من المناسب أن يأخذ المال من الصندوق. هذه أولى الخطوات نحو الفاجعة. من بعدها أصبحت السرقة عادة لديه. أبوه الروحي كان بجانبه. وأي أب روحي هو هذا! فقد كان ممتلئاً لطفاً وصلاحاً. و كان يهوذا ينحني أمامه في كل مرة يلتقيه مبادراً: "بركتك يا أبي". فيسأله أبوه الروحي: "كيف حالك يا يهوذا؟" وهو يجيب: "ببركتك، كل شيء حسن، شكراً".

إن النار يكبر حجمها بقدر ما تضيف إليها من الحطب. وبقدر ما تجمع من المال يزداد طمعك. وهكذا يهوذا، كان يعظم حبه للمال بقدر ما يسرق، حتى انتهى إلى السلطات طالباً مالاً لكي يخون معلمه! لقد وقع مع أنّ معلمه كان بجانبه.

يا ربّي يســوع المســيح ارحمني

الجزء الرابع

الأب الروحي الجيّد

كان نيرون الوثني محاطاً بمجموعة من الأصدقاء والأتباع الذين ينسجمون معه. كان يشبه القديس عندهم، فيرون ذواتهم من خلاله. لو سألنا الفريسيين عن رأيهم بالمسيح لكانوا يجيبون: "إليه عنّا!" يحكم الإنسان على الآخرين وينظر إليهم بحسب أهوائه ورغباته وقناعاته وفلسفته.

يجب أن تسأل نفسك عمّا إذا حددت في داخلك ماهيّة كون الأب الروحي (بحسب "ذوقك"). قد تكون فكرتك عن الأب الروحي الجيّد خاطئة. يجب أن تدرك أن الأب الروحي الجيّد قد لا يرضي شهواتنا ورغباتنا، أي ما تريدنا أنانيتنا أن نؤمن به. إنّه يشفي النفوس حسب تعاليم الآباء القديسين والقوانين المقدسة وليس بحسب شهواتنا.

يوصي كل الآباء القديسين بأن نفتّش عن أب روحي من هذه الخامة: "فلنعمد أولاً إلى الفحص والتدقيق وذلك لئلا نصادف نوتياً بدلاً من ربان ومريضاً بدل من طبيب ولجة بدلاً من ميناء" (السلم إلى الله، الدرجة ٤:٦).

ينبغي الابتعاد عن الأب الروحي الذي لا يملك خبرة محاربة الأهواء الجسدية والروحية. وإلا "فإننا مقدِمينَ إلى انكسار السفينة" (السلم إلى الله، الدرجة ٤:٦). فبدلاً من أن نخلّص أنفسنا نخسرها. "وإذا كان أعمى يقود أعمى يقع كلاهما في الحفرة" (متى ١٥:١٤). وبالطبع، لسنا أحراراً من مسؤولية الاختيار.

قال نابليون: "إن جيشاً من الأسود يقوده أيّلٌ لن يكون أبداً جيشاً من الأسود".

البحث عن أب روحي

لنحسب أنك لا تعرف شيئاً عن الموسيقى البيزنطية. فتذهب إلى الكنيسة وتسمع مرتلاً ذا صوت قوي لكنه لا يعرف شيئاً عن الموسيقى البيزنطية. قد تُعجب به وتقول لنفسك إنه جيد. أمّا إذا سمعه أحد العارفين بالترتيل فسيغضب. إذا سمعتَ أحداً ما يرتّل عن معرفة ولكن من

دون صوت جيّد لا تعتبره كفئاً. لكن لكي تحكم على المرتل عليك أن تعرف عن الترتيل. وهذا ينطبق على كلّ شيء. علينا أن نعرف الحرفة قبل أن نحكم على صاحبها. هذا صحيح بالنسبة للحياة الروحية: لكي تميّز صاحب الروحانية الصادقة عليك أن تمتلكها. يجب أن تكون قديساً لكي تعرف إذا كان الآخر قديساً (السلم إلى الله ٢٦: ٦٨و٢٦س٢٠)

مهما كان القديس متحفّظاً فستكتشفه إذا كنت تشبهه. يقول أحد الأمثال اليونانية: "إن القطة تعرف الفأرة حتى لو كانت مغطاة بالطحين". لا تفتش عن آباء روحيين يعرفون المستقبل ويعرفون الوقائع قبل وقوعها (السلم إلى الله الدرجة ٤: ١٢٠) ولكن أخضِعْ ذاتك بتواضع إلى كاهن مختبر، صحيح العقل، متواضع وخائف لله، يتكلّم عن المسيح وخلاص النفس والجحيم والملكوت.

الأب الروحي كوسيط

لأن الأب الروحي يحمل كهنوت المسيح، فبطريقة ما هو يمثل المسيح على الأرض، لذا هو وسيط بين الله القدير

والابن الروحي. فالأب الروحي يملك السلطان أمام الرب.

إنه يصالحك مع الله

عندما يخطئ المسيحيون، يمنحهم ناموس الله غفران الخطايا بواسطة سرّ الاعتراف إلى أب روحي. لهذا السبب، يقول القديس يوحنا السلمي: "الأوفق لنا أن نخطأ إلى إلهنا من أن نخطأ إلى أبينا ومرشدنا لأننا إن أغضبنا الله فيستطيع المرشد أن يستعطفه لنا أما إذا أزعجنا مرشدنا فليس لنا من يسترحمه بعد" (الدرجة ٤ :١٢١).

إنه يرجو الله

إن صلوات الأب الروحي من أجل أبنائه مقتدرة أمام الله. أن تصلّي من أجل نفسك شيء وأن يصلي أبوك الروحي من أجلك شيء آخر. إن صلاته متفوّقة بسبب كهنوته. بحسب القديس أثناسيوس الكبير، إنّ صلوات الكهنة قديرة كصلوات القديسين.

بركته

تقول خدمة الزواج: "فإن بركة الأب توطد بيوت البنين" (سيراخ ٣ :١١). فإذا كانت بركة الأب الجسدي قادرة على دعم أسَر أبنائه، فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار

قوة صلاة الأب الروحي. كتبَ القديس يوحنا السلمي: "فقد رأيت رهباناً مطيعين قد أصبحوا بحماية أبيهم الروحي سريعي التوجع على خطاياهم، ضابطين أنفسهم عن الأهواء، نشيطين، غير محاربين" (الدرجة ٤: ٥٩). من المهم أن نلاحظ تسمية القديس يوحنا السلمي لبركة الأب الروحي "حماية"، ما يعني أنها حصن ضد الخطيئة.

إن طلب بركة أبيك الروحي، حتى في غيابه، هي أيضاً وسيلة حماية ومساعدة. نورد الحادثة التالية التي جرت في الجبل المقدس: كان أحد الرهبان عائداً إلى ديره والوقت شتاء والثلج ينزل بكثافة. مرَّ الوقت فأقبل الظلام، حتى أن الراهب لم يعد يستطيع أن يكمل طريقه بسبب تراكم الثلج. لقد كان وحده في البرية بعيداً عن الدير. كان حقاً في حالة صعبة. حينئذٍ طلب "بركات" أبيه الروحي "أيها الرب يسوع المسيح خلصني بصلوات أبي الروحي!". وللحال وجد نفسه أمام بوابة الدير.

التأليه

يرى العديد من الناس الأب الروحي رجلاً خارقاً. هذا

خطـأ ، إذ مهمـا سمـا وقـارب القداسـة يبقـى دون الله. أن نتكلّم عن الله شـيء وأن نتكلّم عن القداسة شـيء آخر. مهمـا بلغت قداسـة الإنسان يبقـى إنساناً مملوءاً ضعفات. ينبغي ألاّ نخلط بين الله والبشر. كل إنسان يملك "أهواء غير معابـة"، بعضها للجسد كالجوع والنوم، وبعضها الآخر للروح، كالخوف والحزن وألم النفس المبرّح...إلخ. هذه الأهواء متأصّلة بعمق في جميع الناس. هذا يعني أنّ من الطبيعي أن يكون الأب الروحي وديعاً ، أن يتألم ويقلق ويشعر بتعب ويحتاج إلى الراحة بعد عناء جسدي شاق. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن لكلّ شخص مزاجه، تربيته، مميزاته الوراثية وتكوينه الخاص، نرى أن الأمور ليست بهذه البساطة.

الرسول بولس

لقد كان الرسول بولس الأبَ الروحي للعديد من المسيحيين المستنيرين الجدد. كم كان عظيماً! بالرغم من ذلك، فإن لهذا "الأب" الذائع الصيت ضعفاته: لقد أُثقل باليأس وقارب على فقدان شجاعته.

أثقل باليأس

كان تيطس، الأخ الحبيب للرسول في المسيح، يعيش في ترواس. عندما ذهب الرسول بولس إلى هناك ليبشّر ولم يجده، تأثر كثيراً لغيابه حتى أنه لم يستطع أن يبشّر (٢كو ٢: ١٢-١٣). يئس وترك من دون أن يبشّر الناس مع أن التبشير كان حياته. لقد قال: "فويل إن كنت لا أبشّر" (١كو ٩: ١٦). لقد ضحى بذاته لخدمة الله والتعليم. وعلى الرغم من ذلك، فقد ذهب إلى ترواس لكي يبشّر ولم يستطع! لا نعلم إذا كان لديه القوة لكي يصلي ويتغلّب على مشكلته. من الممكن أنّه صلى ولكنه لم يستطع أن يتغلّب عليها، مع أنه الرسول بولس الذي اختُطِف إلى السماء!

فقد شجاعته

عندما اقترب بولس من روما وأُعلمَ المسيحيون بذلك تهافتوا إليه. "فلما رآهم بولس شكر الله وتشجّع" (أعمال ٢٨: ١٥). هذا يعني أنه فقد شجاعته قبلاً ثم استرجعها. ممَن؟ ليس من الملائكة بل من البشر، وممن هم أدنى منه روحياً. بالإضافة، حزن (فيليبي ٢: ٢٧)، بكى (أعمال

١٢:٢١)، وتشاجر (أعمال ١٥:٣٩). هذه الضعفات ليست عند القديس الرسول بولس دون سواه. على الرغم من ذلك، يتوقع العديد من الناس أن يسلك أبوهم الروحي كغريب في هذا العالم، أي كأنه بلا جسد ولا روح. هذا يُظهر أنهم لا يفهمون الطبيعة البشرية.

الرؤيا

يسمع الناس أن شخصاً ما يستطيع أن يخبر بالحوادث المستقبلية قبل حدوثها فيركضون إليه. أيستطيعون أن يتأكدوا من أن هذه الرؤيا هي من الله؟ ماذا لو كانت من الشيطان؟ قد يتعجب البعض مما يسمعون. لكن الشيطان أيضاً يعرف كيف يخدعهم. أكانوا يصدّقون هذا الإنسان إذا جاء كلامه مخالفاً لما يتمنّون؟ "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله" (١يو ٤:١).

المواهب

لقد جمّل الله قديسيه بمواهب مختلفة، كالرؤيا

والتمييز...إلخ. إن بعض هذه المواهب، كالمعرفة المسبقة والتمييز مثلاً، تسبّب جلبة على عكس المواهب الأخرى. ولكن المواهب "الفائقة الطبيعة" هي تلك التي لا تحدث جلبة (السلم إلى الله، الدرجة ٢٦ :٦٨). قد لا يملك الأب الروحي الكبير موهبة التمييز الفائقة الطبيعة والعميقة، ولكن قد يكون على مستوى روحي عالٍ. ولكن لكون هذه الموهبة غير واضحة أو "منظورة"، فإن الناس لا يعيرونه اهتماماً بل يهرعون إلى مَن يملك موهبة "ظاهرة". علينا أن نتذكّر بأن ضدّ المسيح يخدع الناس "بقوة فائقة الطبيعة" و"علامات".

النبوءة هي كلام الله من خلال القديس. فالله لا يتكلم دائماً من خلال التنبؤ بل فقط عندما تقضي حكمته بأن ذلك يساعد. فالله يكشف أسراره إلى قديسيه عندما يُسرّ. إن شخصاً بهذه الموهبة قادر على معرفة أعمق الأفكار، فيما لا يتنبأ عمّن يقرع الباب. قد يعرف أصعب الأشياء ولكن ليس أسهلها. بكلام آخر، لا يملك القديس هذه الموهبة بشكل دائم وإلا لصار قادراً على معرف أسرار أيّ شخص في كل وقت ويخبر المستقبل

لأيّ كان. عندها كيف يكون مختلفاً عن الله؟

رؤيا الشيطان

أيملك الشيطان الرؤيا؟ أيعرف أفكارنا أو ما سيحصل في أستراليا مثلاً؟ أيعلم المستقبل؟

أيعرف الشيطان أفكارنا ؟

من المنطق أن يعرف الشيطان الأفكار التي وضعها في رؤوسنا. هو لا يدرك الأفكار التي تأتي من الله أو من عقلنا. هناك قول حكيم ينصحنا "لا تخبر أحداً إذ بإمكان الشيطان أن يسمعك". إن الشيطان كروح، يستطيع أن يقرّر ما في عقلنا بمراقبته تعابيرنا. إذا جُرّبت بأفكار الزنى يدرك الشيطان ذلك من تعابير وجهك (إفريجيتينوس ٥:٤). عندما يرى أفكارنا ينقلها إلى خاصته من "الموهوبين"، وهم بدورهم يخبروننا. حينئذ نعلن أنهم يملكون الرؤيا. والشيء عينه يحصل مع خطايانا إذ يخبرها لجماعته وهم يكشفونها لنا.

هل يعرف ماذا يحصل ؟

نعم. كونه روحاً فإن بإمكانه أن يرى أبعد وأفضل

مما نستطيع نحن. وهو أيضاً يتّصل بشياطين آخرين ويُبَلَّغ بشكل كامل عن كل ما يحصل في جميع أنحاء العالم ويمكنه أن يخبرنا بذلك. سأل القديس أنطونيوس زائريه: "كيف مات حماركم؟" فسألوه: "كيف عرفت؟" فأجابهم: "لقد كشفت لي الشياطين". لقد عرف القديس أنطونيوس الذي يملك أسمى مواهب التمييز أن هذه الرؤيا من الشياطين فيما الآخرون ما كانوا يستطيعون أن يعرفوا.

أيعرف الشيطان المستقبل ؟

إن الله وحده يعرف ما الذي سيحصل في المستقبل. لكن الشيطان كونه يرى أبعد وأفضل منّا يصل ببساطة إلى الخلاصة التي قد تكون على خطأ.

الهرع إلى الذين يتنبئون

انتشرت في اليهودية والجليل أخبار يسوع. فهو يصنع العجائب ونبي ويستطيع أن يُخبر المستقبل فأُعجب به العديد من الناس، ولكن لأسباب خاطئة. فهم لم يكونوا يبحثون عن مخلّص أو معلّم، فقط أرادوا صانع عجائب. حتى هيرودس الذي قطع رأس القديس يوحنا المعمدان أراد

أن يلتقيه. فالناس الذين يهرعون إلى الذين يُدعَون أنبياء زمانهم أو حتى إلى شيوخ معروفين من غير سبب جديّ، إنّما يملكون نفس فضولية هيرودس وعدم نضجه. لقد عرف الجنود الذين جلدوا الرب أنّه يتنبأ، فغطوا عينيه وقالوا له: "مَن الذي ضربك؟" (لو ٢٢: ٦٤).

عندما يسمع الناس عن أبٍ روحي صاحبِ نبوءة يهرعون إليه لكي يخبرهم عن اسمهم ومصيرهم ومستقبلهم...إلخ. غير المؤمنين يذهبون إلى العلماء الروحانيين (كالتنجيم والتبصير بالورق....إلخ)، بينما السطحيون من المسيحيين فيذهبون إلى الآباء الروحيين أصحاب "المعرفة المسبقة".

سؤال: أيجب أن نزور هؤلاء الآباء الروحيين؟ نعم، لكن كيف ولماذا؟ أتذهب لترضي غرورك وإعجابك بنفسك؟ أتذهب لكي تدّعي الحصول على بركته؟ أتسأله عن مسائل روحية أو يومية؟

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن المرأة السامرية، على الرغم من أن يسوع كشف لها عن أزواجها الخمسة، عندما أدركت أنه كان نبياً سألته حالاً عن مسألة

روحيـة: أيـن يجـب أن يُـسجد لله (يـو ٤:٢٠). "ألـيس مـن المخجـل أن تـسأل، أنـت المـسيحي، حتـى الأنبيـاء الأتقيـاء أسئلة حـول أمـور يوميـة لا تمـتّ بـصلة إلى روحـك؟" (العظـة ٢:٣٢ عن يوحنا).

لنحسبْ أنّـك تريـد أن تـرى أبـاً روحيـاً معينـاً ذا رؤيـا لكي تبحث أمراً روحياً. إن مقاربتك مهمة جداً. يجب أن تسأل الإرشاد من أبيك الروحي وتبحث الأمر وتحصل على بركته حتى تذهب. من دون موافقته لا تذهب. إن لم تولِ الاعتبار لأبيك الروحي، لا تتوقع أن يعمل الله في تجاوزك. مثلاً: ماذا تعمل إذا أُعطِيتَ وصايا تخالف وصايا أبيك الروحي؟ من ستتبع؟ فإذا أغفلت أباك الروحي، أنت مذنب أمام الله. وإن لم تتبع نصيحة الشيخ صاحب كشف الغيب، لماذا قصدته ؟

إذا تقدّمت بقلب طفل، يكشف الربُّ نفسَه بواسطة خادمه المختار. وإذا تقدمّت بفضولِ هيرودس والجنود الذين جلدوا الرب، فإن الرب سيضلّك بواسطة خادمه حتى "تعود إلى الطريق". كما يقول الكتاب المقدس: "فإذا ضلَّ النبي وتكلّم كلاماً فأنا الرب قد أضلّلتُ ذلك النبي وسأمدّ

يدي عليه" (حزقيال ١٤:٩).

الأب الروحي الحازم

إنّه لا يفهمني

في إحدى المرّات، اقترب مني شاب بعد قداس الأحد، وقال: "لديّ شكوى على الآباء الروحيين. لقد ذهبتُ إلى أحدهم ولم ألقَ تفهّماً. ثم ذهبتُ إلى آخر، فلم يفهمني أيضاً. فذهبتُ إلى ثالث فرابع ولم أجد مَن يفهمني. أنا وحيد ويائس. فأنا أيها الأب النبي أليشع ومن واجبي أن أغيّر العالم. ما مِن كاهن يصدّقني. هذه هي شكواي". لقد كان مقتنعاً بما كان يقول. لو وُجد كاهن واحد يوافقه لكان ارتاح: "أخيراً فهمتَني". بدلاً من أن يحاجج ذاته منطقياً، وَضَع اللوم على الإكليروس. أنت تكشف أفكارك لأبيك الروحي متوقّعاً منه الموافقة. وإن لم يوافق تقول: "إنه لا يفهمني" (وأنت تفهم كل شيء!!) "إنه يملك عقلاً ضيقاً". عليكَ أن تنتبه إلى الدور الذي تلعبه. فأنت في بعض المناسبات تعتبر نفسك مثيراً للشفقة ولا قيمة لك.

بينما في مناسبات أخرى تصدّق أنك ملهم من الله نفسه ولستَ على استعداد لأن تعيد النظر في أيّ شيء. يقول الأب دانيال الكاتوناكي ١٩٢٠: "من الأسهل أن تخلع سناً رديئاً من فم إنسان (في تلك الأيام كان خلع الأضراس بواسطة الكماشة) على أن تنزع فكرة رديئة من رأس مَن يعتبرها صحيحة".

ضد مشيئتك

في سفر يهوديت من العهد القديم وصف للحالة التالية: كان هناك رئيس جيش يدعى أليفانا وكان اليد اليمنى للملك نبوخذ نصر. قرّر أن يحارب الإسرائيليين ورسم خطته للمعركة. وقبل شنّ هجومه سأل أحيور قائد العمّونين معلومات عن الإسرائيليين. فنصحه أحيور: "إن لم يكن لأولئك الشعب إثم فلا تحاربْهم". فغضب أليفانا وسلّم أحيور إلى أعدائه اليهود لكي يعاقَب. أمّا نهاية حياة أليفانا فقد كانت تعيسة، إذ قطعت امرأة إسرائيلية اسمها يهوديت رأسَه قبل الهجوم ودارت به حول الجيش اليهودي (يهوديت٦و٧). لقد غضب أليفانا عندما سماعه نصيحة أحيور التي تخالف فكره. يتوقّع الأنانيون أن

تكون نصيحةُ أبيهم الروحي مطابقةً لما يعتقدون به. في الجوهر، هم يسعون ليبرروا مشيئتَهم. وإذا "نجحوا" فإنهم يقولون: "يا لهذا الأب الروحي الجيّد! كمْ أرتاح عندما أكون معه". وإن لم ينجحوا يقولون: "كمْ هو فظٌ وعديمُ الحس. إنه لا يفهمني". إنهم لا يجدون عيباً في ذواتهم بل يجدونه فقط في أبيهم الروحي. هذه نتيجة أنانيتهم.

من الممكن أن تقول إنك تجد "الارتياح" في أبيك الروحي. أي نوع من الارتياح؟ ما الذي يريحك؟ أيعمل "خدمات"؟ أيجيب بـ"نعم" على أسئلتك"؟ أكنت لترتاح لو أنّه يجيب بـ"لا"؟

فإن كانت الحالة الأولى هي الصحيحة، يعني أنك لم تدخل في علاقة أبوّة روحية حقيقية. وإن كانت الحالة الثانية هي الصحيحة، يعني أنك قد أحرزتَ تقدماً روحياً بمعونة النعمة الإلهية وآمنتَ بأنّ الرفض هو من أجل مصلحتك.

يقول القديس يوحنا السلمي: "إذا كان رئيسك يقرّعك بلا انقطاع وأنت تحفظ له حبّاً جمّاً وتؤمن به إيماناً كبيراً فاعلمْ أنّ الروح القدس قد حلَّ فيك غير

منظـور و "أن قـوة العلـي قـد ظللتـك" (الدرجـة١٤: ١٢٠). والعكس صحيح، فإذا ضمرتَ الغضب وعدم الثقة لأبيك الروحي، سيقطن الشرّ حينئذٍ في نفسك.

عندما تُدين أباك الروحي

يقول لنا أسلافنا الحكماء: "لا ترمِ حجارة في البئر التي تشرب منها"، "لا تقضمْ الإصبع الذي يشير إلى الطريق". أنت تدين أباك الروحي لأنه بنظرِك ارتكب خطأ. ألا ترتكب أنت الأخطاء؟ بالطبع أنت تفعل. من الذي يرتكب الخطأ الأكبر؟ أبوك الروحي أم أنت الذي تدينه؟ فكّر: أكنتَ تدينه لو أنّك فاضل؟ أكنتَ تدينه لو أنّك حاربتَ ضعفاتك، أو لو أنك متواضع؟

بكلام آخر، إن أنت أدنْتَ أباك الروحي، يعني أنّ فيك شيئاً خاطئاً، يجب أن تصحّحه. من الممكن أنّ أباك الروحي ارتكب خطأ أنت اكتشفتَه. إن كنت شخصاً روحياً لا تدينه، "لا تقضمْ الإصبع الذي يشير إلى الطريق". يجب أن تشير إلى الخطأ بهدوء وتواضع. وإن كنتَ ابناً

غير مخلص، فأنتَ تظهره كأحمق بإخبارك غلطته للجميع. مَن عنده أصدقاء من هذا النوع لا يحتاج إلى أعداء.

إتّهام جدي

إذا كان محظوراً أن تدين أخاك (لو٦: ٣٧)، فكم بالحري هو محظور أن تدين كاهناً، وخاصة أباك الروحي؟ القديس يوحنا الذهبي الفم صارم في كلامه عن الذين يدينون أباهم الروحي. فمن بين عدة أمور يكتب القديس يوحنا الذهبي الفم:

* أليس من الرياء أن يراك الجميع تُقَبِّل يده وتسأل بركته وتطلب منه أن يُعَمِّدَ أولادك وأن يأتي إلى بيتك، بينما تلعنه أمام عائلتك وفي العلن؟

* "يقول رجل حكيم: "إذا كان أبوك غير معافى عقلياً عليك أن تقبله. هذا صحيح وأكثر من ذلك بالنسبة للآباء الروحيين. إن كان عندك مشكلة مع أبيك الروحي، لا تجلدْه بفمك، لا تُدِنه. أظهِرْ صبراً واحتمالاً".

* "يملك الفريسي فضائل، فهو يصوم ويصلّي ويعطي الفقراء ويحترم نواميس الله. ولأنه قال أنّ العشار

غير شريف عاقبه الله. نحن الذين ندين آباءنا الروحيين ماذا سنقول لله؟"

* "أنت تدين أباك الروحي. أفلا تخاف ناراً من السماء تحرق لسانك؟ ألا تخاف من الأرض التي ستفتح وتبتلعك؟" (العظة عن "عدم التكلم ضد كهنة الله").

"يمنعك القديس يوحنا من الإصغاء إلى الاتهامات الموجهة للآباء الروحيين. كيف تستطيع أن تقف وتصغي إلى الآخرين يلعنون أباك الروحي؟ لماذا لا تسكتهم وتحصل على عون من الله؟ إن لم تفعل سوف يكون عليك أن تدافع عن نفسك في يوم الدينونة!" (المرجع نفسه).

العقوبة

إن كان أحد يتكلم بالسوء عن والده يستحق الموت (خروج٢١ : ١٧)، فماذا يستحق إذاً الذي يتكلم ضد أبيه الروحي؟ من المهم أن نلاحظ أن القديس يوحنا الذهبي الفم يعتبر هؤلاء الناس غير مستحقين للمناولة المقدسة أو الدخول إلى الكنيسة أو الدخول حتّى إلى صحنها (النارثكس)، بل أيضاً غير مستحقين لولوج باب الكنيسة! (المرجع نفسه).

تغيير أباك الروحي

بالنسبة لنا، إن أبانا الروحي هو أقدس شخص. إنه يفوق أبانا الجسدي. أيصحّ أن نغيّره باستمرار؟ يعتمد الأمر على السبب والطريقة. لنرَ ماذا يقول لنا معلم الروحانية الأرثوذكسية الكبير، القديس يوحنا السلمي. فهو يخبرنا عن شيخ أكرم تلميذه الذي أظهر تقدماً روحياً. لم يوافق الراهب على هذا التكريم وقرّر أن يُغيِّر أباه الروحي (الدرجة٤: ١١١). من المهم أن نلاحظ أن القديس يوحنا رأى أن الأمر إيجابي لأن الراهب اتّخذ تقدمه الروحي في الاعتبار. وأيضاً: "إذا تذرّع الطبيب بعجزه عن مداواتك فلا بدّ من الذهاب إلى طبيب آخر إذ يندر شفاء أحد بدون طبيب". (الدرجة٤: ٧٠).

في هذه الحالة حافز الراهب كان تقدمه الروحي.

البركة

لم يترك هذا الراهب أباه الروحي كاللص. بل سأله أولاً أن يعطيه "بركته" ومن ثم طلب إليه أن يطلقه بحسب القديس يوحنا (السلم إلى الله، الدرجة٤: ١١١). هذا يعني

أنـه إذا أراد أحـد أن يغيِّـر أبـاه الروحـي الفعلـي فعليـه أن يحصل على "بركته".

تغيير أبيك الروحي لا يعني أنك صرت حراً بذاتك، بل أنت تكون مرة أخرى تحت الطاعة والإرشاد.

متى يكون التغيير غير مسموح

لقـد انتزعـك أبـوك الروحـي مـن طريـق الخطيئـة ووضعك على الطريق التي تؤدي إلى المسيح. إنه يرشدك ويقودك. فإذا فكّرت بتغيير أبيك الروحي لأنه لم يوافقك على أمر ما أو لأنك أُعجبتَ بأبٍ روحي آخر، فإن نكرانك للجميل يشبه موقف البرص التسعة الذين لم يرجعوا ليشكروا. ينتقد القديس يوحنا السلمي هذا الأمر كثيراً: "إن النفوس المريضة التي تتداوى لدى طبيب وتنتفع منه ثم تتركه قبل أن تشفى تماماً، مفضِّلة عليه طبيباً آخر، تستحق كل قصاص من الله" (الدرجة٤: ٧٢). فهو ينصحنا: "لا تفلت من يدَي الذي حملك إلى الرب فإنك لن تجلّ في حياتك أحداً نظير إجلالك له" (الدرجة٤: ٧٢).

"لا شي غير الاعتراف بانسحاق قلب يجعل الرب أكثر رحمة"

التوبة الحقيقية تجعل الله يُرسل من السماء شلالات، ليس من الماء بل من النعمة الإلهية المقدسة المخلِّصة

التوبة تشمل ثلاث مراحل:

١- اليقظة والانسحاق

٢- الاعتراف بالخطايا

٣- الجهاد ضد الخطيئة حتى الموت

(القديس يوحنا الذهبي الفم)

AL BISHARA BOOK STORE
2008